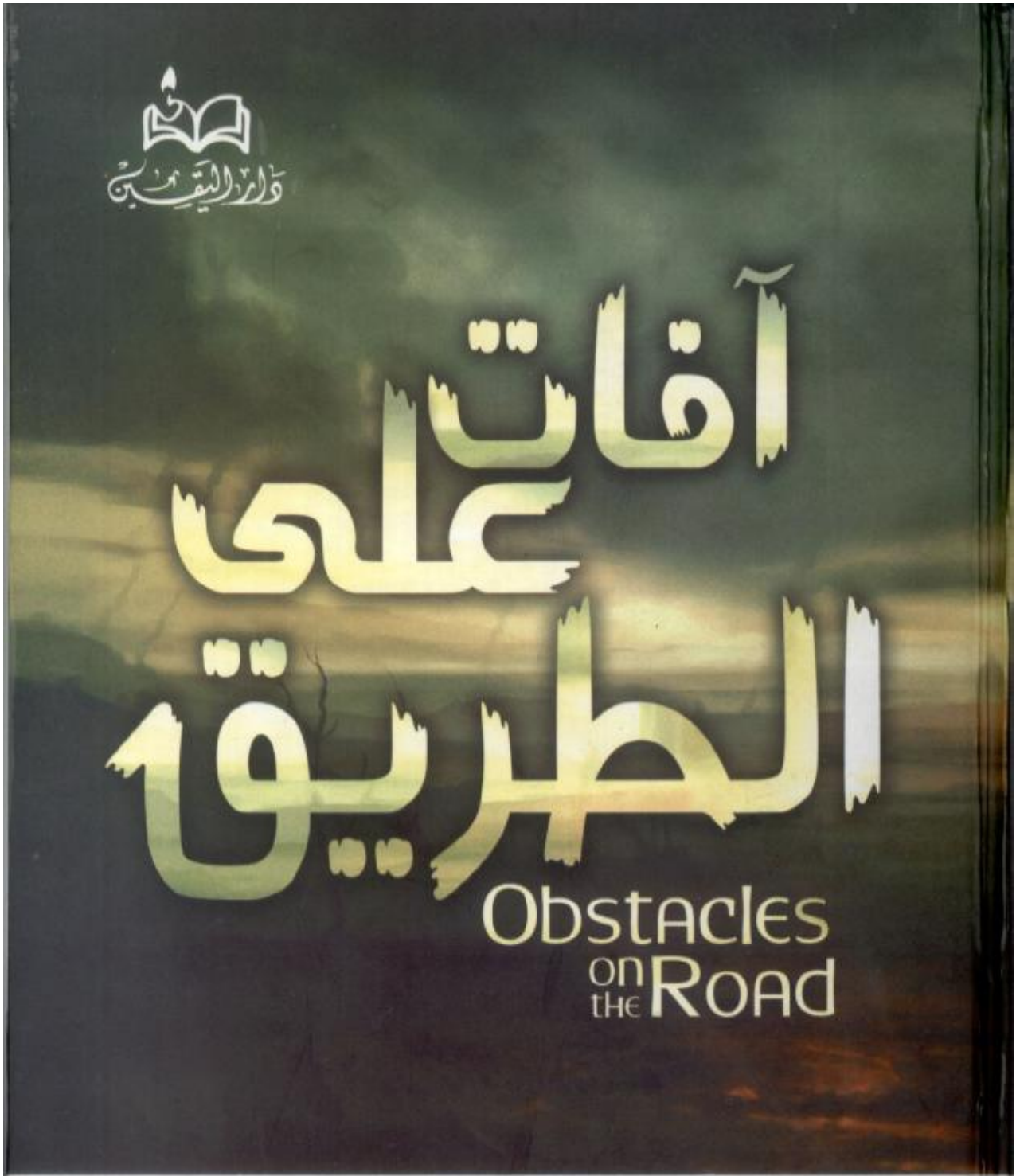

تأليف
د. السيد محمد نوح
Dr. Al Sayed Mohammad Nouh

آفات على الطريق

الدكتور
السيد محمد نوح

المجلد الرابع
٧-٨

دار اليقين
للنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

نوح ، السيد محمد

آفات على الطريق . / السيد محمد نوح .

ط ١ . المنصورة : دار اليقين ، ٢٠٠٦

مج ٧ - ٨ ؛ ١٧ x ٢٤ سم

تدمك ٧- ١٨٣ - ٣٣٦ - ٩٧٧

١ - الإسلام -دعوة

أ - الإسلام - دفع مطاعن

ديوي / ٢١٣

رقم الإيداع : ١٧٨٤٧ / ٢٠٠٦

دار اليقين للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

المنصورة : شارع عبد السلام عارف الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف ص . ب ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١

هاتف : ٠٥٠٢٢٥٥٢٤١ جوال : ٠١٠١٥٧٥٨٥٢ - البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com

المكتبة : مساكن الشناوي سور مسجد التوحيد - هاتف ٠٥٠٢٢١١٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والسَّالكين سبيله، والدَّاعين بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد،،

فهذان هما الجزءان السابع والثامن من كتاب : «آفات على الطريق» يأخذان طريقهما إلى النور في وقت تعاني فيه الأمة المسلمة أعظم المعاناة من ناحية، ويبذل العاملون لدين الله ـ عز وجل ـ ما يبذلون من ناحية أخرى رجاء أن يكون لهما نصيب في معالجة ما تشكوا منه الأمة عامة، والعاملون لدين الله خاصة، والله سبحانه من وراء القصد،،

الكويت : الجمعة ٢١ من شعبان ١٤٢٤ هـ

١٧ من اكتوبر ٢٠٠٣ م

وكتبه

الدكتور/ السيد محمد نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

الآفة السابعة والثلاثون
«الخذلان»

الآفة السابعة والثلاثون
«الخذلان»

والآفة السابعة والثلاثون ذات الآثار الضارة والعواقب الوخيمة إنما هي: «الخذلان» وحتى يبرأ مَنْ ابتلي بهذه الآفة، ويحترز منها من سلَّمه الله ـ عز وجل ـ ووقاه شرها فإن لابد من تصور دقيق لها، يوضح أبعادها ومعالمها وذلك من خلال هذه الجوانب:

أولاً: تعريف الخذلان لغة واصطلاحًا:

لغة: الخذلان يأتي في اللغة بمعان عدة، نذكر منها:

١ ـ ترك الشيء، والقعود عنه، ثم خصَّ بترك المعونة، والنصرة.

يقال: خذلت الوحشية ولدها، فهي خذول أي قعدت، وتركته.

ويقال: خَذَلَهُ خذلانا: إذا ترك عونه: ونصره.

٢ ـ الضعف، والانهزام: تقول: تخادلت رجلاه: ضعفتا، والخاذل: المنهزم.

٣ ـ الإسلام للغير، وتخييب الآمال، تقول: خَذَلَهُ يَخْذِلَهُ خَذْلاً، وخذلانًا، وخذلانًا، أي أسلمه وخيَّبهُ.

٤ ـ التثبيط، والفتُّ في العضد، تخاذل القوم، أي ثبط كل واحد من عزيمة صاحبه، وفتَّ في عضده[1].

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعًا إذا هو تثبيط وفت في العضد يؤدى إلى الضعف، والانهزام، وترك المعونة والنصرة، بل الإسلام للغير، وتخييب الآمال.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ١٦٧، الصحاح للجوهري ٤/ ١٦٨٣ لسان العرب لابن منظور ٢/ ١١١٨ بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٣١ بتصرف.

اصطلاحًا:

قال الراغب الأصفهاني: الخذلان: ترك النصرة ممن يظن به أن ينصر[1] وقال ابن الأثير: الخذل: ترك الإغاثة، والنصرة[2].

ولعل المعاني اللغوية للخذلان، وكذلك ما ذكره الراغب، وابن الأثير تساعد كلها في رسم صورة واضحة ودقيقة للمعنى الاصطلاحي وخلاصته أنه: تثبيط شياطين الإنس والجن للمرء، وفتهم في عضده بصورة تؤدى إلى الإنهزام النفسي، والضعف والقعود عن تقديم المعونة والنصرة لمن هو في حاجة إليها، بل ربما إسلامه للغير بما يقطع الرجاء ويخيب الآمال.

ثانيًا: صور الخذلان وموقف الشارع الحكيم من هذا الخذلان:

صور الخذلان كثيرة نذكر منها:

١ ـ رؤية الحرمات من دم، ومقال، وعرض، ودين تنتقص، دون أن يكون هناك أدنى تحرك لحماية هذه الحرمات، ولو بالإنكار القلبي، وتمعُّر الوجه، ومقاطعة المعتدى على هذه الحرمات.

٢ ـ إسلام المظلومين للظالمين للنيل منهم، والتنكيل بهم بأوسع ما تتضمنه هذه الكلمة.

٣ ـ قبول المسلم أن يكون يد الظالمين المنفذة لما يراد بالمظلومين من النيل منهم والتنكيل بهم.

وخذلان مَنْ هو محتاج إلى المعونة، والنصرة من يقدر على ذلك ولا يقدِّمُه كبيرة من الكبائر تقتضي وجوب التوبة فورًا ممن ابتلي بها وذلك بالإقلاع عن هذا الموقف المذل المخزي، والتحوُّل للنقيض قبل أن تقع الواقعة وتضيع الفرصة ويكون الندم حيث لا ينفع الندم. والدلائل الشرعية على هذا الحكم تتجلى في هذه النصوص:

(١) انظر: المفردات صـ ١٤٤ بتصرف.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦/٢.

١ ـ قوله ﷺ :

«. . . المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَنْ فَرَّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومَنْ ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(١).

٢ ـ قوله ﷺ :

«ما من امرىء يخذل مسلمًا في موطن يَنْتَقِصُ فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرىء ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»(٢).

٣ ـ قوله ﷺ :

«مَنْ أكل برجل مسلم أُكْلَةً فإن الله يطعمه مثلها في جهنم، ومَنْ كُسى ثوبًا برجل مسلم، فإن الله يكسوه مثله من جهنَّم، ومَنْ قام برجل مقام سمعة ورياء، فإن الله يقوم به مقام سمعةٍ ورياءٍ يوم القيامة»(٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح: كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلمُ المسلم، ولا يسلمه ص٣٩٤ رقم ٢٤٤٢، وكتاب الحيل: باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه . . . ص ١١٩٩ رقم ٦٩٥١ ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم صـ ١١٢٩ رقم ٢٥٨٠ / ٥٨ / ٦٥٧٨ كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، واللفظ للبخاري .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن: كتاب الأدب: باب الرجل يذب عن عرضه أخيه صـ ٦٨٩ رقم ٤٨٨٤ من حديث جابر بن عبد الله، وأبي طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما مرفوعًا بهذا اللفظ وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الفتن باب فيمن قدر على نصر مظلوم أو إنكار منكر ٧ / ٢٦٧ من حديث جابر، وأبي أيوب الأنصاري وعقب بقوله: «حديث جابر وحده، رواه أبو داود، ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن» .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب في الغيبة صـ ٦٨٨ رقم ٤٨٨١ من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه مرفوعًا به، وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٩ وأورده الألباني في: صحيح أبي داود ٣/ ٩٢٣ والسلسلة الصحيحة رقم ٩٣٤ .

٤ ـ قوله ﷺ :ـ

«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قالوا: يارسول الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تأخذ فوق يديه»[1].

ووجه الدلالة من النصوص الثلاثة الأولى : أنها جاءتْ بصيغة الخبر الذي ما له الأمر بالنصرة، والنهي عن الخذلان كما هو ـ مقرر عند علماء الأصول أما النص الرابع فدلالته واضحة إذ فيه التصريح بإعانة المظلوم، ومنع الظالم من التمادي في ظلمه، وتلك أعظم نصرة له، وإعانة.

ثالثًا: الآثار المترتبة على الخذلان:

للخذلان آثار خطيرة وعواقب مهلكة وأهمها:

أ ـ على العاملين:

١ ـ فقد الثقة وضياع الهيبة:

ذلك أن من يخذل غيره وهو قادر على الوقوف بجانبه، ونصرته، يسحب الناس ثقتهم به، وتذهب هيبته على نحو ما صنع عبد الله بن سلول حين انسحب بثلاثمائة من أتباعه يوم أحد، قائلاً: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ (آل عمران:١٩٧) وتخلى عن نصرة المسلمين ساعة الشدة، والمحنة إنه بهذا العمل سقط من أعين الناس وضاعت هيبته واحترامه فم يعد يثق به أحد.

٢ ـ الحرمان من العون والنصرة ساعة الشدة والمحنة:

ذلك أن الحياة شدائد وامتحانات ومن تخلى عن نصرة من أصابته شدة أو نزلت به محنة مع القدرة على النصرة والإعانة سيصيبه ما أصاب غيره، ويفتش

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح: كتاب المظالم: باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا صـ ٣٩٤ رقم ٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤، وكتاب الإكراه: باب يمين الرجل لصاحبه صـ ١١٩٩ رقم ٩٩٥٢ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا صـ ١١٣٠ رقم ٢٥٨٤ / ٦٢ / ٦٥٨٢ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا في قصة مشهورة بين المهاجرين والأنصار.

عن الناصر والمعين فلا يجد جزاءاً وفاقًا وكذلك يسهل على العدو قضمه، وابتلاعه من باب «أكلت يوم أكل الثور الأبيض»[1].

وقد مضى حديث النبي ﷺ ولفظه:

«ما من امريء مسلم يخذل مسلمًا في موطن ينتقص فيه عرضه وينتهك من حرمته، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصره . . . . الحديث»[2].

٣ ـ الفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد:

ذلك أن من خذل أخاه عن طريق الوشايه به، وإسلامه للعدو، فقد شهر به، ومَنْ شهَّر بالناس في الدنيا شهر الله به يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد، فياحسرة من اختار لنفسه هذا المصير السيء والعاقبة المذمومة.

يقول النبي ﷺ:

« . . . ومن قام برجل مقام سمعه ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعه ورياء يوم القيامة»[3].

---

(١) يروى أن أمير المؤمنين عليًا ﷺ قال: «إنما مثلي، ومثل عثمان، كمثل أنوار ثلاثة، كنَّ في أجمة: أبيض، وأسود، وأحمر، ومعهنَّ فيها أسدٌ، فكان لا يقدر منهنَّ على شيء لاجتماعنَّ عليه، فقال للثور الأسود، والثور الاحمر: لا يُدلُّ علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله صفت لنا الأجمة، فقالا: دونك فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: لوني على لونك فدعني آكل الأسود، لنصفو لنا الأجمة، فقال: دونك فكله فأكله ثم قال للأحمر: إني آكلك لا محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثًا، فقال: افعل فنادى: ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ثم قال عليٌّ ﷺ: ألا إني هُنت ـ ويروى: وهنت ـ يوم قتل عثمان يرفع بها صوته»، هذا مثل يضربه الرجل ينصر في حق أخيه إبقاءً على نفسه فيهلكان معا انظر: مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٥، وعنه نقل الخولي في: فرائد الخرائد في الأمثال صـ ٢٥ مع تصرف يسير.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

٤ ـ العقاب بنار جهنم:

ذلك أن من يعيش على دماء الناس وأعراضهم، وأموالهم فإنه يعاقب يوم القيامة بنار جنهمَ طعامًا، وشرابًا، وكسوة، ونحو ذلك، من باب «الجزاء من جنس العمل».

يقول ﷺ:

«من أكل برجل مسلم أكله فإن الله يطعمه مثلها في جهنم ومن كسى ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم . . . الحديث» (١).

ب ـ على العمل الإسلامي:

١ ـ وقوع المسلمين فريسة في أيدى الأعداء:

الزمرة بعد الزمرة والطائفة بعد الطائفة، إذ يأكلون الأضعف ثم من فوقه، ومن فوقه، حتى يأتوا على البقية الباقية من المسلمين لخذلان كل منهم غيره.

٢ ـ طول الطريق مع كثرة التكاليف:

وإذا أراد المسلمون العودة إلى عابر مجدهم، وسالف قوتهم بعد إذ خذل بعضهم بعضًا فإن هذا يكلفهم طريقا طويلاً، وجهدًا ومالاً في الوقت الذي يستمتع فيه الأعداء بخيرات المسلمين وثرواتهم، مع تسخير جزء من هذه الخيرات، وتلك الثروات لضرب المسلمين، وإحكام الطوق حول أعناقهم، وذلك فيه من الخطر ما فيه.

رابعًا: أسباب الخذلان وبواعثه:

للخذلان أسباب تؤدى إليه، وبواعث توقع فيه نذكر منها:

١ ـ إيثار العافية والسلامة:

ذلك أن بعض الناس يرى أن نصرته وعونه لمن هم بحاجة إلى النصرة والعون

(١) الحديث بجزءيه سبق تخريجه.

قد يكلفه كثيراً من الجهد، والوقت، والمال وهو غير مستعد لتحمل هذا، لذا يتراءى له أن يدير ظهره إلى هؤلاء المحتاجين إلى النصرة والعون مؤثراً العافية، والسَّلامة.

٢ ـ البيئة:

إذا قد ينشأ المرء في بيئة قريبة ـ وهي البيت ـ أو بعيدة ـ وهي المجتمع شأنها الأثرة، والأنانية، وعدم الاهتمام بإغاثة الملهوف ونجدة المكروب فيشب على ذلك، بحيث يرى الملهوف يستغيث والمكروب يستنجد ولا تتحرك فيه شعرة ولا يتمعر له وجه ولا يتأثر أدنى تأثر.

٣ ـ نسيان الأجر والثواب المترتب على نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف:

ذلك أن الشرع الحنيف قد أخبر أن هناك أجر عظميًا وثوابًا جزيلاً لم يعلم على نصرة المظلوم وإعانة الملهوف وتفريج الكربات ونسيان ذلك الأجر، وهذا الثواب يجعل المرء لا يحقر بنصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وتفريج الكربات.

٤ ـ خسة الطبع، ولؤم النفس:

وقد يكون السبب في عدم نصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف ونجدة الكروب، إنما هي خسة الطبع، ولؤم النفس، إذ في كل خسةٍ ولؤم، والمطلوب مقاومة هذه الخسة، وذلك اللؤم، فإذا لم تتم هذه المقاومة قويت هذه الخسة، ونمى ذلك اللؤم حتى تصير حيلة وسلوكًا بحيث يرى هذا الصنف من الناس المظلومين يئنون، والملهوفين يستغيثون، ولا يحرك ساكنًا، ولا يدمى له قلب، ولا تدمع له عين.

٥ ـ عدم قيام ولي الأمر بواجبه في الحثِّ على نصرة من هم بحاجة إلى النصرة:

ذلك أن وليَّ الأمر هو المسئول الأول عن إقامة شرع الله في الأرض بما منحه الله من قوة وسلطان، وبما أوجب له حق الطاعة في المعروف ومن مسئولياته الحث على نصرة من هم بحاجة إلى العون والنصرة بل إلزام القادرين ـ بما لديه من

إمكانات ـ على تنفيذ ذلك، وحي يقصر في القيام بهـذه المسئولية فإنه يفتح الباب أمام الكسالى والجاهلين، والغافلين أن يقعدوا عن نصرة من هم بحاجة إلى النصر والإعانة.

٦ ـ الغفلة عن حقوق الأخوة الإنسانية بل والإسلامية:

ذلك أن لكل إنسان حقوقًا على أخيه الإنسان بمقتضى الإنسانية وحقوقًا للمسلم على المسلم بمتـقضى الإسلام ومن هذه الحـقوق :حرمـة خذلانه وإسلامـه لعدوه وظلمه، وتحقيره، وحين يغفل المرء عـن هذه الحقوق، وينساها يكون الخذلان وما وراءه مما ذكر آنفا.

٧ ـ الجهل أو النسيان للعواقب المترتبة على الخذلان:

إذ قد يكون الجهل أو النسـيان للعواقب المترتبة على الخـذلان من الأسباب التي يقعد بالمرء عن نصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف ذلك أن من جهل أو نسى العواقب الضارة، والآثار المهلكة لعـمل ما أقدم على فـعله ظانا أن فيه سـعادته ومصلحـته والحقيقة أن فيه حتفه وهلاكه.

أ ـ خوف المخلوقين : ونسيان الخالق:

إذا قد يكون السـبب في الخذلان هو الخـوف من بطش المخلوقين وأنهم يملكون للمرء ضرًا وشـقوة في نفس أو مال أو عرض أو أهل أو عـشيرة في الوقت الذي يأمن فيه جانب الخالق الذي بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله: الحياة، والموت والضر، والنفع، والشقوة، والسعادة، والنصرة، والخذلان.

ب ـ الأمن من الوقوف غدًا بين يدي الله ـ عز وجل ـ والسؤال:

ذلك أن الأمن من سـاعة الوقـوف غـدًا بين يدي الله ـ عز وجل ـ والسـؤال: رأيت الملهـوفين والمظلـومين والمكروبين وخـذلتـهم إلى حـد أنك أسلمـتـهم إلى

أعدائهم؟ وقد جاء: « مـن نوقش الحساب عذب»[1] أن هذا الأمر يقود لا محالة إلى خذلان من هم بحاجة إلى العون والنصرة.

خامسًا: طريق علاج خذلان الغير بل الوقاية:

طريق علاج خذلان الغير بل الوقاية تقتضي اتباع هذه الخطوات:

١ ـ التعريف بالخالق تعريفًـا يملك على المرء أقطار نفسه، بحيث يرى هذا المرء ربه: مـالك الملك يؤتي الملك من يشـاء، وينزع الملك ممن يشـاء ويعز من يشـاء، ويذل من يشاء بيده الخـير، وهو على كل شيء قدير، ما يفـتح للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بـعده، وهو العزيز الحكيم فيقدم على نصرة من هم بحاجة إلى النصرة مستعينًا بالله عز وجل الذي يتولى عبادة الصالحين ويؤيد المتقين.

٢ ـ التذكير بلحظة الوقوف بـين يدي الله عز وجل غدًا والسؤال عن ترك نصرة المظلومين وعدم إغـاثة الملهوفين وتفريج كربات المكروبين وأن من نـوقش الحساب عذب التذكير بذلك كله فإنه قد يقـود مع التقوى والصدق إلى الإسراع بنصرة من هم بحاجة إلى النصرة وإن كان معها من الشدائد والامتحانات ما معها.

٣ ـ دوام النظر في سير النبيين وخاتمهم محمد ﷺ هذا يوسف الصديق يرى في رؤية الملك محنة وشـدة تنزل بالناس فلا يقول مـا قال الملأ: ﴿ **قَالُوا أَضْغَاثُ**

---

(١) الحديث أخرجه البخـاري في : الصحيح: كتاب العلم: باب من سمع شيئـا فراجع حتى يعرفه صـ ٢٣ رقم ١٠٣، وكتـاب التفسـير: سورة الانشقـاق: باب، فسوف يحـاسب حسابًا يسـيرًا صـ ٨٨١ ـ ٨٨٢ رقم ٤٩٣٩، وكتاب الرقـاق: باب من نوقش الحساب عذب صـ ١١٣٢ رقـم ٦٥٣٦ ، ٦٥٣٧، والترمذي في : السنن: باب منه (من نوقش هلك) ص ٥٢٢ ـ ٥٥٣ رقم ٢٤٢٦ وكتاب تفسـير القرآن: باب ومن سورة ﴿إذا السماء انشـقت﴾ ص ٧٦١ رقم ٣٣٣٧ ، ٣٣٣٨ كلاهما من حديث عـائشة رضي الله عنها مرفوعًا بـه وبنحوه وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث صحيح حسـن» وزاد الترمذي مخرجاً من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «من حوسب عذب» وعقب عليه بقوله: «وهذا حـديث غريب من حديث قتادة عن أنس لا نعرفه من حديث قتادة عن أنس، عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه».

أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾ (يوسف: ٤٤) بل يقول: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٧ ـ ٤٩).

وهذا موسى يجد عند وروده أرض مدين: امرأتين تذودان، فسألهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ قالتا ﴿لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٣ ـ ٢٤).

وهذا النبي ﷺ تستصرخه امرأة مسملة اعتدى عليها واحد من يهود قينقاع فيحاصر هؤلاء اليهود حتى يجليهم عن المدينة.

وتستصرخه خزاعة حين اعتدت عليها بكر بمعونة قريش فيجيبها ﷺ ويكون فتح مكة.

أجل: إن دوام النظر في سير هؤلاء النبيين سيحمل على الأقتداء والتأسِّي لقوله سبحانه:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وقوله سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

٤ ـ الوقوف على حقوق الأخوة الإسلامية ومنها أنه: لا يسلمه، ولا يخذله، ولايظلمه، ولا يحقده، فإن الوقوف على هذه الحقوق سيقود الصادقين حتمًا إلى التخلص من كل هذه الأخلاق الذميمة والتخلق بأضدادها من الحماية، والرعاية، والعدل، والتوقير، والتقدير، والاحترام.

٥ ـ قيام الأمة بواجبها في مواجهة من يخذلون غيرهم ممن يستحق النصرة ولو بالإنكار القلبي المتمثل في القطيعة، فإن ذلك لو تحقق قد يقود إلى التخلي عن الخذلان، والعمل على الوقوف بجانب الغير نصرة وإعانة .

٦ ـ قيام ولي الأمر بواجبه في التحذير من خذلان من يستحقون النصرة بل العمل على تأديبهم وإصلاحهم لئلا يتمادوا في هذا الخذلان على نحو ما صنع النبي ﷺ مع الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك من ضرورة مقاطعتهم حتى تاب الله عليهم في قوله ـ سبحانه ـ :

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨).

٧ ـ إسهام الأسرة في علاج ظاهرة الخذلان لدى أبنائها بأن يقلع الأبوان عن هذا الخلق الذميم، ويعلنوا أن ذلك كان مجافيًا منهم للقيم الإنسانية، وأن عليهم ألا يحاكوا الوالدين في هذا الخلق الذميم، بل عليهم أن يتحلوا بالشهامة، والمروءة والنجوة، وإغاثة الملهوف، وتفريج الكربات، ونحو ذلك.

٨ ـ دوام النظر في سير المعروفين بخذلان غيرهم وعواقبهم:

وخير ما يصور ذلك: خذلان أمراء الأندلس بعضهم بعضًا مع الاستعانة بالنصارى في آخر أيامهم، على نحو ما صنع بنو عباد وخلفاؤهم من بني جهور، وبني الأفطس ضد خصومهم الأمر الذي عجل بدولتهم وجعلهم فريسة للنصارى الذين عملوا على ملاحقة المسلمين فيما عرف بمحاكم التفتيش.

إنَّ دوام النظر في هذه السير يحمل متبلِّدي الحس وميِّتي العاطفة:

أن يغيروا موقفهم نحو المستحقين للمعونة والنصرة فتراهم يقفون إلي جوارهم يجيرونهم يؤازرونهم بكل ما يملكون من أساليب ووسائل.

٩ ـ دوام النظر في سير المعروفين بنصرة غيرهم ومؤازرتهم:

هذا المعتصم بالله العباسي تستغيثه امرأة في عمورية: أن روميًا لطمها طالبةً الثأر والإنصاف، ورد مظلمتها لها فيغزو الروم، وينكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها أحد، ويشتت جموعهم، ويخرب ديارهم ويفتح عمورية بالسيف ويطلب من المرأة أن تلطم النصراني الذي لطمها بمثل ما فعل بها .

وهذا مؤمن آل فرعون ينهض لنصرة نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ حين يأتمر به الملأ يقتلوه وحين يتوعده فرعون بالقتل .

وهذا حبيب النجار ينصر الرسل الثلاثة لما كذبهم قومهم، وتوعدوهم بالرجم بل بالقتل وتصل به نصرة هؤلاء إلى حدّ التضحية بحياته في سبيل الله وهذا نور الدين زنكي يصفه الإمام أبو شامة بقوله:

«وبلغني من شدة اهتمام نور الدين ـ رحمه الله ـ بأمر المسلمين حين نزول الفرنج على دمياط أنه قرىء بين يديه جزء حديث له كان له به رواية فجاء في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسُّم فطلب منه بعض طلبة الحديث أن يتسم ليتمَّ السلسلة، على ما عرف من عادة أهل الحديث فغضب من ذلك وقال: إني لأستحي من الله ـ تعالى ـ أن يراني مبتسمًا، والمسلمون محاصرون بالفرنج»[1].

إن دوام النظر في هذه السير يولد في نفس المرء من المروءة والشهامة ما يحمل على التخلي عن خذلان الغير، ويشجعه على نصرة الآخرين وإعانتهم بكل ما يمكن من أساليب النصرة والإغاثة.

١٠ ـ تذكر الأجر والثواب الذي ربطه الحق ـ تبارك وتعالى ـ بنصرة المظلوم وإغاثة الملهوف على النحو الذي ورد في الأحاديث المذكورة آنفًا فإن ذلك الأجر وهذا الثواب يهونان على أصحاب الفطر السليمة والعقول الراشدة والعارفين بالله ـ

(١) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين: النورية، والصلاحية.

عز وجل ـ وبالعاقبة والمصير كل ما يلحقهم من أذى ومشقات من باب:

«مَنْ لاح له بريق الأجر هانت عليه مشقة التكليف» .

١١ ـ استحضار العواقب المترتبة على خذلان المرء لمن يستحقون الإغاثة والنصرة سواء أكانت فردية، أو جماعية، دنيوية أو أخروية، فإن استحضار هذه العواقب يحمل على جمع الهمة، ومضاء العزيمة، والمضي في الطريق إلى نهايتها من نصرة المظلومين، وإغاثة الملهوفين وتفريج كرب، المكرومين.

١٢ ـ معايشة القدوات الحَيَّة التي قدمت أرواحها وما تملك نصرةً للمخذولين:

لعل أصدق تصوير لهذه الخطوة حالة الأمة حين وقعت فريشة بين أنياب الاستعمار خلال القرون الثلاثة الماضية ومنها أرض الإسلام المباركة الأقصى وما حوله وتجهيل المستعمر الأمة وإفساد أخلاقها وتمزيق وحدتها حتى لا تقوم لها قائمة وكان الأمر عكس ما توقع الأعداء إذ ظهرت الحركات الجهادية التي حملت راية الجهاد بأوسع معانيه من بذل أقصى ما في الطاقة والوسع من أجل إعلاء كلمة الله عز وجل تارة باستحضار النية وتارة بإشاعة الفقه في الدين والعلم الحياتي وتارة بالتوسع في العمل الخيري وتارة بإعانة أسر المجاهدين وتارة بتجهيز المجاهدين وتارة بالجهاد بالنفس وهلم جرا.

ومن هذه الحركات على سبيل المثال لا الحصر : حركة الشهيد أحمد عرفان في الهند وحركة أبي الكلام آزاد وحركة الجماعة الإسلامية في باكستان وحركة ندوة العلماء في الهند، وحركة جماعة التبليغ ، وحركة جمعية العلماء في الجزائر، وحركة الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وحركة الإخوان المسلمين، وحركة عز الدين القسام، وحركة أنصار السنة (السلفية) وحركات أخرى لا حصر لها.

إن معايشة رموز هذه الحركات والوقوف على تصورها لواقع الأمة، وكيفية الخروج من هذا الواقع، ثم حملها الراية عملياً نصرةً للمظلومين، وإغاثةً للملهوفين والمكروبين وعدم التخلي عن هؤلاء، وتركهم فريسة للشياطين الإنسية،

والجنيـة: يمكن أن يحرك الكسـالى، ويوقظ النائمين، وينبه الـغافلين كي يقـوموا بدورهم، وواجبهم أسوةً بغيرهم من الناس متـحلين بالحكمة التي دعا إليها الشرع الحنيف في قوله سبحانه:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

***

الآفة الثامنة والثلاثون
«تتبع العورات»

الآفة الثامنة والثلاثون
«تتبع العورات»

والآفة الثامنة والثلاثون التي إن ابتلى بها النّاس ، وشاعت فيهم أصابتهم بالكراهية، والفرقة والقطيعة ثم الوقوع فريسة في أيدى الأعداء إنما هي : «تتبع العورات».

وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلي بها ويتقيها، ويحذرها من سلمة الله عز وجل منها فإنه لابد من الوقوف على أبعادها ومعالمها من خلال هذه الجوانب:

الجانب الأول: تعريف تتبع العورات لغة وشرعًا:

لغة:

تتبع العورات مركب إضافي مؤلف من كلمتين هما «تتبع» «عورات» والأمر يقتضي تعريف كل على حدة، ثم تعريف هذا المركب، ودونك البيان: «التتبع» يأتي في اللغة بمعنى: السير وراء الشيء وتطلبه على مهل[1]. «العورات»: جمع عورة ولها في اللغة معان: منها:

١ ـ الخلل والعيب في الشيء.

٢ ـ كل ما يستره الإنسان استنكافًا أو حياء[2] وهي من الرجل: ما بين السرة والركبة ومن المرأة الحرة : جميع جسدها إلا الوجه واليدين إلى الكوعين[3] ولا تعارض بين هذين المعنيين، إذ هي كل عيب أو خلل يستنكف أو يستحيا من إظهاره.

(١) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٨١ بتصرف.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٣٨؛ المعجم الوسيط ٢/ ٦٣٣ بتصرف.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٣٨ .

وتتبع العورات هو: السير بتؤدة وعى مهل وراء كل عيب، أو خلل يستنكف أو يستحيا من إظهاره.

شرعًا:

أما تتبع العورات شرعًا فلم أجد فيه بحثًا مفردًا، وإنما عبارات متناثرة هنا وهناك فحواها، ومضمونها أنه:

متابعة البحث والتفتيش عما خفي مما يستحي الناس منه، ويستنكفون من إظهاره صوابًا أو خطأ مدحًا أو قدحًا فصار المعنى الشرعي أوسع من المعنى اللغوي إذ المعنى اللغوي مقصور على محاولة الكشف عن المعيب أو الخطأ، بينما المعنى الشرعي يعم كل ما يخفيه الناس معيبًا أو غير معيب صوابًا أو خطأ.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلاً اطَّلع في بعض حجر النبي ﷺ فقام إليه بمشقص أو مشاقص، وجعل يختله ليطعنه»[1].

وليس في بيت النبي ﷺ أمور معيبة أو مذمومة ومع ذلك عمل على طعنه إيذانًا بأن تتبع العورات شرعًا أبعد مدى وأوسع دائرة من المدلول اللغوي:

الجانب الثاني: ماهية الألفاظ ذات الصلة: (التجسس ـ التحسس ـ الترصد ـ التنصت):

وردت عدة ألفاظ ذات صلة قوية بتتبع العورات منها:

١ ـ التجسس: وهو في اللغة: التفحص باليد، ثم صار عاما في التفحص والتتبع باليد وبغير اليد[2].

٢ ـ التحسس: وهو في اللغة: التفحص بالحواس من اليدين، والعينين والفم، والسمع، والشم[3].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الديات: باب من اطلع في بيت قوم ففقئوا عينه فلا دية له صـ ١١٨٩ رقم ٦٩٠٠.

(٢) انظر: لسان العرب ٧/ ٣٣٣٧ تهذيب اللغة ٩/ ٤٤٨، تاج العروس ٤/ ١١٩.

(٣) انظر: لسان العرب ٧/ ٣٣٧ تهذيب اللغة ٩/ ٤٨٨، المعجم الوسيط ١/ ١٢٣.

وقد اختلف العلماء في علاقة كل منهما بالآخر، فمن قائل بالتضاد، ومن قائل بالتوافق، ومن قائل بالعموم، والخصوص والراجح أن مآلهما واحد وهو تتبع المخفي والمستور وتفحصه بكل ما يمكن من أساليب ووسائل.

أما التجسس أو التحسس اصطلاحًا فهو تتبع العورات وغيرها بكل الأساليب والوسائل مشروعة أو غير مشروعة ثم خُصَّ بالاطلاع على عورات المسلمين ونقل أخبارهم للعدو بطريقة سرية سواء أكانت هذه الأخبار عسكرية أو غير عسكرية أيام السلم أو أيام الحرب وسواء أقام بها مسلم أو غير مسلم[1].

٣ ـ الترصد لغة هو: القعود على الطريق ترقبًا ومنه الرصدى: الذي يقعد على الطريق ينظر الناس ليأخذ شيئًا من أموالهم ظلمًا وعدوانًا.

أما الترصد اصطلاحًا فهو: القعود بالمرصاد للناس ومراقبتهم لمعرفة أخبارهم[2].

٤ ـ التنصت لغة هو: التسمع أو تكلف الإنصات[3].

أما التنصت اصطلاحا فهو: التسمع لأخبار الناس ولو بشيء من التكلف.

وهكذا يلتقي مصطلح: «تتبع العورات» مع التجسس، والتجسس والترصد، والتنصت في أن الغاية هي الوقوف على أخبار الناس، وإن اختلفت الوسيلة والأسلوب.

الجانب الثالث: أهم صور تتبع العورات وموقف الإسلام من هذه الآفة وأدلة هذا الموقف لتتبع العورات صور أهمها:

١ ـ السؤال وبإلحاح للناس عن خاصة شئونهم وأحوالهم.

٢ ـ التنصت على الناس في أحاديثهم، ومتابعة سلوكهم.

---

(١) انظر: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية لمحمد زاكان الدغمي صـ ٢٦ ـ ٣١ بتصرف.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٤٨ الصحاح في اللغةوالعلوم للمرعشلين ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ بتصرف.

(٣)انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٥ الصحاح في اللغة والعلوم للمرعشلين ص ١١٧١ بتصرف.

٣ ـ اختلاس النظر في بيوت الناس.

٤ ـ دخول البيوت بغير إذن من أهلها.

٥ ـ طرح الأسئلة الإسقاطية التي ظاهرها العموم وهي في حقيقتها تعني الخصوص وهلم جرا.

هذا وقد حرم الشارع تتبع العورات والتنقيب عما خفي من أمور الناس إذ يقول النبي ﷺ:

«يامعشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته»(١).

ويقول أيضًا:

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونواعبدا الله إخوانًا»(٢).

ومن قبل قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

بل لقد بين النبي ﷺ بالقول وبالفعل:

---

(١) الحديث اخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في الغيبة صـ ٦٨٨ رقم :٤٨٨ من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ، وأورده الغزالي في: إحياء علوم الدين ٣/ ١٤٠ وعقب عليه العراقي في المغني بقوله: «سنده جيد» كما ذكره الألباني في: صحيح سنن أبي داود رقم ٤٠٨٣ وعقب عليه بقوله: «حسن صحيح».

(٢) الحديث سبق تخريجه في آفة: سوء الظن.

أنَّ على من انتهكت حرماته وتتبع عوراته أن يدفع هذا الأذى الذي لحق به بما يروع منتهكي الحرمات ومتتبعي العورات بأن يستخدم أخف الوسائل فإن لم يرتدع استخدم اشدَّها وإن أصيب المعتدي في نفسه، أو في بعض أعضائه، فلا دية، ولا قصاص.

إذ يقول ﷺ:

«لو أن امرءاً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة، ففقأت عينه، لم يكن عليك جناح»(١).

وإذ يقول:

«مَن اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه ففقئوا عينه فلا دية له، ولا قصاص»(٢).

وإذ يقول أنس رضي الله عنه:

«أن رجل اطلع في بعض حجر النبي ﷺ فقام إليه بمشقص أو مشاقص وجعل يختله ليطعنه»(٣).

على أنه يجوز تتبع عورات من ظهرت منه أمارات الفسق والفجور في نفسه أو مع غيره لحمله على الإقلاع، وزجره عن المعاودة.

يقول الأستاذ محمد زاكان الدغمي ـ بعد أن ساق طائفة من النصوص المتعلقة بتتبع العورات:

«والتجسس على عورات الناس حرام سواء أكان بالتطلع أم بالاستنصات والاستماع، وسواء أكان ذلك من الأفراد والجماعات أم من الحاكم وذلك لورود

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الديات: باب من اطلع في بيت قوم ففقئوا عينه فلادية له ص ١١٨٩ رقم ٦٩٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في الاستئذان ص ٧٢٦ رقم ٥١٧٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً به.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

النهي عن التجسس صراحة في القرآن الكريم والسنة النبوية كما مر آنفًا.

ومن هنا فلا يجوز التجسس إلا لشبهة دالة على ريبة، أو جناية لا يعرف فاعلها فيجوز التحرى، والتجسس على أهل الريب لمعرفة الجاني ومن هذا عمل رجال المخابرات عموما لمعرفة الخطرين على الأمن لوضع الضوابط التي تدفع شرهم»[1].

وذكر الإمام أبو حامد الغزالي شروطًا بها يجوز للمسئول التجسس منها: الشرط الثالث: «أن يكو المنكر ظاهرا للمتجسس بغير التجسس».

«فكل من أغلق بابه، وستر عورته لا يجوز أن يتجسس عليه إلا أن يظهر بالدار ظهورًا يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير، والأوتار أو سماع طمطمة، أو ارتفاع الأصوات بحيث جاوزت حيطان الدار فمن سمع ذلك من المسئولين فله دخول الدار لأن التجسس هو طلب الأمارات المعروفة وهو المنهي عنه فإذا حصلت الأمارة المعروفة دون طلب، عندها يجوز العمل بمقتضاها ولذا لا يجوز اقتحام الدور بالظنون نظرًا لحرمة المساكن في الإسلام وضرورة المحافظة على ما ستره الله تعالى فيها أما في حالة ظهور الفساد فيجب دفع الضرر والمفسدة ويجوز عندها التجسس»[2].

وقد سبق إلى هذا الفقه من الصحابة ﷺ ابن مسعود وعمر إذ يقول ابن مسعود ﷺ:

«إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شي نأخذ به»[3].

وإذ يقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن نفسه: «إنه حرس مع عمر بن

(١) انظر: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية صـ ١٤٨.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن كتاب الأدب في التجسس ص ٦٩٠ رقم ٤٨٩٠ من حديث زيد بن وهب قال: «أتى ابن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا فقال عبد الله إنا قد نهينا عن التجسس. الحديث».

الخطاب ليلة المدينة فبينما هم يمشون شبَّ لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف أتدري بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شُرُبٌ فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله: ﴿ولا تجسسوا﴾ (الحجرات:١٢)، فقد تجسسنا فانصرف عنهم، وتركهم»[1].

الجانب الرابع: آثار تتبع العورات:

أ ـ على العاملين:

لتتبع العورات أثر على العاملين نذكر منها:

١ ـ زرع الأحقاد، والضغائن في النفوس:

ذلك أن لكل حرمته في دينه، ودمه، وعقله، وعرضه وماله.

وإذا ما انتهكت هذه الحرمة فإنها يورث في النفس الأحقاد، والضغائن من باب غضبة المرء لحرماته. لا سيما إذا عجز هذا المرء عن الثأر لهذه الحرمات.

٢ ـ ذهاب الهيبة، وخسران الثقة:

ذلك أن الناس ينظرون إلى من يتتبع العورات أنه غير آمن على حرمات الناس، فيسحبون منه الثقة، وتسقط هيبته من نفوسهم وماذا يبقى للمرء بعد سحب الناس ثقتهم به وزوال هيبته من نفوسهم؟

٣ ـ التورط في مزيد من الفسق والفجور:

ذلك أن المتتبع لعورات الناس، قد يطلع على ما يسوء ولا تحمد عقباه، فيقوده ذلك إلى مزيد من الفسق، والفجور، كالغيبة، والنميمة وحب الثأر المتمثل في سفك دم أو انتهاك عرض أو سلب مال ونحو ذلك وقد نبه إلى هذا رب العزة سبحانه إذ يقول؟: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ (الحجرات:١٢).

---

(١) الحديث أورده السيوطي في: الدر المنثور ٧/ ٥٦٧ .

٦ ـ حلول الغضب الإلهي:

ذلك أن المتتبع لعورات الناس قد خالف حكم الله ورسوله في حرمة التجسس وتتبع عورات الناس ومن يخالف حكم الله ويتمادى في ذلك ولا يتوب يحلل عليه الغضب الإلهي، وقد قال الحق سبحانه:

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (طه: ٨١).

٧ ـ الفضيحة في الدنيا والآخرة:

يتمثل الغضب الإلهي الذي ينزل بمن يتتبع عورات الناس في صور لا حصر لها ومنها فضيحة الله ـ عز وجل ـ

وقد بين ذلك رسول الله ﷺ في قوله:

«يامعشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»(١).

٤ ـ هدر المتتبع لعورات الناس حرمات نفسه:

ذلك أن المتتبع لعورات الناس قد أهدر حرمة الآخرين وأقل عقاب له في الدنيا أن تهدر حرمته هو، من باب: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠) ومن باب: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وهذا ما نبه إليه النبي ﷺ في قوله:

«من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقئوا عينه، ففقئوا عينه، فلا دية له، ولا قصاص»(٢).

٥ ـ حمل الآخرين لا سيما الناشئة ومن لا حصانة لهم أن يشتغلوا بعورات غيرهم:

ذلك أن تتبع عورات الناس سيعلم الآخرين لا سيما الناشئة ومن لا حصانة

(١) الحديث سبق تخريجه.
(٢) الحديث سبق تخريجه.

لديهم: أن يشتلغوا بتتبع عورات غيرهم فيكسب مَنْ علَّمهم ذلك: إثمين: إثم نفسه، وإثم من اقتدى به، وسار وراءه من باب: «... ومن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا»[1].

ب ـ على العمل الإسلامي:

ولتتبع عورات الآخرين كذلك آثار على العمل الإسلامي: نذكر منها:

١ ـ الفرقة والقطيعة:

ذلك أن امتلاء الصدور بالأحقاد والضغائن، والتورط في مزيد من الفسق، والفجور كل ذلك يؤدي إلى تسويد القلوب، ومن ثم الفرقة والقطيعة.

٢ ـ الحرمان من العون الإلهي:

ذلك أن الفرقة والقطيعة ليست من دين الله في شيء كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

وقد مضت سنته سبحانه أن يخذل كلَّ من أتى ما يخالف منهاجه، ويضاد حكمه، كما صنع سبحانه مع أهل الكتاب، إذ يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

٣ ـ كثرة التكاليف، وطول الطريق:

ذلك أن الخذلان الإلهي لمتتبعي عورات الناس يتمثل في صور منها: الوقوع فريسة في أيدى الأعداء، وعبث هؤلاء بالمناهج والقيم والمباديء، ويحتاج المسلمون للتخلص من سيطرة هؤلاء الأعداء إلى زمن طويل مع جهد كبير، ومعاناة ومشقات على نحو ما هو قائم وواقع ببلاد المسلمين اليوم وعلى نحو ما حل بهم منذ أكثر من قرنين من الزمان.

(١) الحديث سبق تخريجه.

الجانب الخامس: أسباب تتبع العورات:

هناك أسباب تؤدي إلى تتبع العورات، وعوامل توقع فيه نذكر منها:

١ ـ سوء التربية الأسرية:

ذلك أن الأسرة إذا كانت حياتها مبنية على تتبع العورات، ولم تتعهد صغارها على الأقل بالتنفير من هذا الفعل، وتقبيحه فإنه ينشأ وفي دمه الاطلاع على العورات، بل الترصد لها والتجسس عليها من باب أن الولد صورة دقيقة للأسرة: إن استقامت استقام وإن انحرفت انحرف.

٢ ـ ضعف الإيمان:

ذلك أن المرء إذا كان ضعيف الإيمان بالله، والعاقبة، والمصير: استهان بالعورات، ففتش عنها، وتجسس عليها بكل الأساليب والوسائل، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «إنَّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1].

٣ ـ أصدقاء السوء:

ذلك أن المرء إذا عاش بين أصدقاء السوء وكان من أخلاقهم تتبع العورات، والتفتيش عنها والتجسس عليها، فإنه يتأثر بهم غالبًا، ولا سيما إذا لم يكن قوي الشخصية.

إذ المرء على دين خليله، وفي الأمثال الأعجمية: «قل لي : من صديقك؟ أقل لك : من أنت؟».

٤ ـ مرض القلب:

ذلك أن المرء إذا كان مريض القلب لا قترافه المعاصي والسيئات فإنه يستهين بالعورات، ويعمل بطريق أو بأخرى على رصدها واقتناص ما يمكن اقتناصه منها.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح : كتاب أحاديث الأنبياء: باب منه ص ٥٨٧ رقم ٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤، وكتاب الأدب: باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ص ١٠٦٧ رقم ٦١٢٠ وأبو داود في/ : السنن: كتاب الأدب: باب في الحياء ص ٦٧٩ رقم ٤٧٩٧ كلاهما من حديث أبي مسعود البدري ﷺ مرفوعًا.

وفي حديث حذيفة ﷺ ما يصور أثر القلب المريض على صاحبه إذ يقول ﷺ :

«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد كالكوز مُجَخِّيا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»[1].

٥ ـ عدم الاحتراز من مواطن الريبة والتهمة:

ذلك أن المرء قد لا يحترز من مواطن الريبة، والتهمة، فيفتح الباب أمام المتطفلين ونحوهم أن يظنوا به سوء، ويحملهم هذا الظن على التجسس وتتبع العورات للتحقيق والتأكد، وذلك فيه من الخطورة ما فيه لهذا جاء في الحديث قوله ﷺ :

«... فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه، وعرضه... »[2].

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1].

٦ ـ الاستخدام من قبل جهات لا تخشى الله والدار الأخرة:

ذلك أن هناك جهات لا تخشى الله والدار الآخرة، وليس لها هم سوى

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح: كتاب الإيمان: باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب ص ٧٤ رقم ٢٣١/ ١٤٤/ ٣٦٩ من حديث حذيفة مرفوعًا به.

(٢) الحديث جزء من حديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه ص ١٢ رقم ٥٢ ، وكتاب البيوع: باب الحلال بين والحرام بين .. ص ٦٢٩ رقم ٢٠٥١ ومسلم في: الصحيح: كتاب المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات ص ٦٩٨ رقم ١٠٧ ، ١٠٨ / ١٥٩٩ / ٤٠٩٤ ـ ٤٠٩٧ ، وأبو داود في : السنن: كتاب البيوع: باب في اجتناب الشبهات ص ٤٨٤ ـ ٤٨٥ رقم ٣٣٢٩ ـ ٣٣٣٠، والترمذي في السنن: كتاب البيع: باب ما جاء في ترك الشبهات ص ٢٩٤ رقم ١٢٠٥، والنسائي في: السنن: كتاب البيوع: باب اجتناب الشبهات في الكسب ص ٦١٧ ـ ٦١٨ رقم ٤٤٥٨، وابن ماجه في : السنن: كتاب الفتن: باب الوقوف عند الشبهات ص ٥٧٣ رقم ٣٩٨٤ كلهم من حديث النعمان بن بشري ﷺ مرفوعًا وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

الاطلاع على العورات، وتوظيفها بما يناسب أهواءها ومشاربها وقد لا تستطيع الوصول إلى ما تريد بنفسها أو تستطيع ولكنها لا تحب الكشف عن هويتها فتستخدم بعض الأغرار في تتبع العورات والتجسس عليها ويتورط هؤلاء في ذلك عن قصد أو غير قصد.

٧ ـ الظفر بالعثرات لتكون أداة ضغط لخدمة أهداف معينة:

ذلك أن المتربصين بالناس الدوائر قد لا يجدون تحقق أهداف بعينها إلا عند طائفة ما من الناس ويصعب عليهم شراء ذمم هؤلاء ولا يبقى أمامهم سوى الظفر ببعض العثرات حيث إن كل بني آدم خطاء ويجعلون من هذه العثرات أدوات ضغط على هذه الطائفة لتحقيق ما يريدون ويرون الطريق لذلك في تتبع العورات والبحث والتفتيش عنها.

٨ ـ الفراغ:

ذلك أن الفارغ من الناس يملي عليه الشيطان الدخول في سبل لا حصر لها ومنها تتبع العورات لملأ هذا الفراغ، وتستجيب النفس الأمارة بالسوء لذلك فيكون التورط في هذه الآفة وصدق النبي ﷺ الذي يقول:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٢].

والذي يقول:

«اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك»[١].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب حديث اعقلها وتوكل صـ ٥٧٢ رقم ٢٥١٨ والنسائي في: السنن: كتاب الأشربة: باب الحث على ترك الشبهات صـ ٥٧٢ ـ ٥٧٣ رقم ٥٧١٤ كلاهما من حديث الحسن بن عليّ ﷺ مرفوعاً به وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح : كتاب الرقاق: باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة صـ ١١٣ رقم ٦٤١٢ والترمذي في: السنن: كتاب الزهد: باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس صـ ٥٢٨ رقم ٢٣٠٤ وابن ماجه في: السنن: كتاب الزهد: باب الحكمة صـ ٦٠٨ رقم ٤١٧٠ كلهم من حديث عبد الله بن عباس ﷺ مرفوعًا، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

٩ ـ تقصير المجتمع في واجبه نحو متتبعي العورات:

ذلك أن على المجتمع أن يقوم نحو بعضه البعض بواجب إنكار المنكر، وإلا تحولت الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد، يشيع فيها انتهاك الحرمات في: العقيدة، والدم، والعقل، والعرض، والمال. وتتبع العورات من أنكر المنكرات، وحين يقصرُ المجتمع في واجبه نحوه يشيع ويتفشى بين الناس حتى لكأنه السمة العامة للمجتمع.

١٠ ـ عدم قيام ولي الأمر بواجبه نحو تتبع العورات:

ذلك أن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن وحين لا يقوم ولي الأمر بواجبه نحو تتبع العورات من التحذير، ثم التعزير فإنه يتفشى هذا الوباء، وينتشر بين الناس وذلك فيه من الخطورة ما فيه.

الجانب السادس: سبيل الخلاص من هذه الآفة بل الوقاية والاحتراز:

إنَّ سبيل الخلاص من هذه الآفة بل الوقاية والاحتراز تتمثل في:

١ ـ أن يقوي المرء ملكة المراقبة لله عز وجل لديه:

ذلك أن المرء إذا قويت ملكة المراقبة لله عز وجل لديه بأنه يراه ويطلع على كل ما يقع منه سراً وعلانية استحيا أن يتورط فيما نهى عنه وحذر الرسول ﷺ منه من التجسس على عباد الله وتتبع عوراتهم ولا شك أن تربية ملكة المراقبة هذه ليست بالأمر الهين ولا باليسير إذ هي تبدأ بمعرفة الله وكمالاته من دوام النظر في الكون، وفي النفس وكثرة تلاوة القرآن والمواظبة على الذكر المطلق، والمقيد، ثم معايشة الأحداث التي وقعت في الماضي وكان حاضرها وشاهدها والقاضي فيها رب العزة سبحانه كقصة المرأة التي ظاهر منها زوجها في سورة المجادلة وكقصة

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في: المستدرك: كتاب الرقاق: باب نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ ٥/ ٤٣٥ رقم ٧٩١٦ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً بهذا اللفظ وعقب عليه بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي في: تخليص المستدرك وأورده الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في: صحيح الجامع الصغير ١/ ٤٣ ـ ٢٤٤ مرفوعًا ومرسلاً.

حاطب بن أبي بلتعة وكقصة ابنتي سعد بن الربيع حين صادر عمهما تركة أبيهما وحرمهما الإرث منها، واطلاع الحق سبحانه على ذلك كله وإنزال قرآن يقضي بالحق، في ذلك كله ويتلى هذا القرآن إلى آخر الزمان، ثم قياس الحاضر على الماضي وأنه سبحانه لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء ثم ما يشعره الإنسان من داخله من معية الله سبحانه وتعالى واطلاعه على أحواله لا سيما في أوقات الشدائد، والمحن ثم مصاحبة القدوات الحية المعروفة بمراقبتها لله عز وجل وخوفها الشديد منه.

٢ـ أن يستحضر المرء على الدوام رجوعه إلى ربه، والحساب، والجزاء:

ذلك أن الخلق كلهم راجعون إلى الله ومسئولون ومجزيون عن أعمالهم بالسوء سوءًا ، وبالإحسان إحسانًا ويوم يستحضر المرء ذلك ويضعه نصب عينيه ويكون عاملاً لمصلحة نفسه، ساعيًا من أجل إسعادها فإنه يقلع لا محالة عن هذه الآفة بل يعمل جاهدًا على تحصين نفسه منها بطريق أو بأخرى ولا شك أن استحضار هذه اللحظات، وتلك الساعات يحتاج إلى معايشة دائمة لكتاب الحياة: القرآن الكريم، وكذلك للنبي ﷺ من خلال سنته الشريفة، وسيرته العطرة، المطهرةً، وكيفية تصوير هذا الكتاب، وتلك السنة للعافية والمصير، وما ينتظر العباد هناك من شدائد وأهوال إلا من رحمَ الله.

٣ـ أن تقلع الأسرة التي نشأ بها المرء عن هذه الآفة مع التنويه بخطئها في الماضي:

ذلك أن إقلاع الأسرة التي نشأ بها المرء عن هذه الآفة، مع اعتراف هذه الأسرة بخطئها الماضي، والعزم الأكيد أنه لا عودة إلى هذه الآفة مرةً أخرى، وإن تعرضت لشتى المساومات.

إنَّ ذلك لو حدث يعيد إلى المرء ثقته بالبيئة التي نشأ بها وحرصه على تجميل صورها بين الناس بإقلاعه عن هذه الآفة وإصراره على عدم الرجوع إليها، وإن قطع وحرق بالنار.

٤ ـ أن ينقلب المرء عن مصاحبة أهل السوء إلى مصاحبة أهل الطاعة والإحسان:

ذلك أنَّ شخصية المرء لا يكتمل بناؤها إلا من خلال الأصحاب، غاية ما في الأمر أن البناء يكون هشًا لا أساس له إن كان هؤلاء الأصحاب أهل شر وسوء، ويكون قويًا متينًا راسخًا إن كانوا أهل بر وإحسان، وما من شك في أن أصدقاء السوء هم الذين يعملون بطريق أو بأخرى كما قدمنا على جر المرء للوقوع في غائلة هذه الآفة.

والعلاج الانقلاب من صحبة هؤلاء السيئين الأشرار إلى صحبة الطيبين الأخيار، وينبغي أن يتعاون الطيبون الأخيار في كل حي وأن يجعلوا من أنفسهم سفينة الإنقاذ لمثل هؤلاء.

٥ ـ أن يداوي المرء قلبه مما نزل به من علل وأمراض:

ذلك أننا قدمنا أن مرض القلب كان من بين أسباب الوقوع في هذه الآفة، ولا يمرض القلب إلا بالمعاصي والسيئات، والعلاج أن يقلع المرء عن المعاصي والسيئات صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، إن هذا الإقلاع لا محالة سيؤدي إلى صقل القلب وشفائه فلا يقبل القلب وهو ملك الجوارح أن تتبع هذه الجوارح عورات الناس وخفاياهم.

وقد ذكر النبي ﷺ الصورة التي يكون عليها القلب عندما يخطيء العبد، والصورة التي يكون عليها عندما يقلع عن هذا الخطأ فقال:

«إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله **﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**[1].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة ويل للمطففين صـ ٧٦١ رقم ٣٣٣٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به وعقب بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

٦ ـ أن ينأى المرء بنفسه عن مواطن التهمة والريبة:

ذلك أن المرء إذا رغب في الحفاظ على عوراته وعدم تتبعها، من قبل الآخرين، فإن عليه أن يتخذ خطوة إيجابية تتمثل في أن ينأى بنفسه عن مواطن التهمة والريبة، بحيث يغلق باب الظن السَّيء ومن ثم التجسس وتتبع العورات وهذا يتأتى حين تكون السلوكيات محسوبة.

٧ ـ أن يكون المرء يقظًا واعيًا بحيث لا يقع فريسة في أيدى أصحاب الأهواء:

ذلك أن أصحاب الأهواء لا يكفون عن البحث عن الأغرار الغافلين لتوظيفهم في التجسس وتتبع العورات وعلى المرء أن يكون يقظًا واعيًا مقدرًا: أن هؤلاء لن ينفعوه ولن يغنوا عنه من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ شيئًا كما أنهم سيحصلون على حاجتهم منه ويلقونه بعد ذلك على قارعة الطريق لا حول له، ولا قوة بعد أن تكون قد حقَّتْ عليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، وربما قتلوه، وتخلصوا منه بالمرة، فيكون قد خسر الحياتين جميعًا: الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

٨ ـ أن يملأ المرء أوقاته بالنافع المفيد:

ذلك أن وقت الإنسان قد يكون دمارًا أو عمارًا، فإذا ملأه بسفاسف الأمور، وتوافهها كان دمارًا وهلاكًا، وإذا ملأه بالنافع المفيد كان عمارًا، ونجاة، وعليه فالعاقل هو الذي يجتهد أن يصنع لنفسه برنامج عمل يومي بما لا يتعارض مع الكتاب والسنة بحيث لا تبقى لديه لحظة تستغل من قبل الشياطين الجنية والإنسية في البحث عن خفايا الناس وكشف ما ستره الله.

٩ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه في مقاومة تتبع العورات:

ذلك أن الشرع الحنيف جعل المجتمع أداة فاعلة في سيادة الفضيلة وقتل الرذيلة حين كلفه بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مستخدمًا في ذلك أساليب شتى من الطلب المباشر وغير المباشر فقال سبحانه:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنكَرِ ﴾ (التوبة: ٧١).

وقال ﷺ:

«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

وعليه فإنَّ على المجتمع أن يقوم بواجبه في مقاومة التجسس على الناس وتتبع عوراتهم بكل ما منحه الشرع الحنيف من أساليب ووسائل وأقل ذلك الإنكار القلبي المتمثل في مقاطعة هذا الصنف من الناس بحيث تتعطل مصالحه وتنقطع به السبل أعتقد أن المجتمع لو قام بذلك بصدق وإخلاص وجد فإنه يحمل المتتبعين لعورات الناس أن يقلعوا ليعودوا عناصر مقبولة بين أبناء المجتمع.

١٠ ـ أن يقوم ولي الأمر بواجبه في مقاومة هذه الآفة:

ذلك أن ولي الأمر هو الحصن المنيع الذي يثول إليه كل خائف ويلوذ به كل مظلوم، كما أنه السوط الموجع الذي يؤدب به كل خارج ويقوم به كل معوج حتى جاء: «إن الله ليزع بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن»[2].

وعليه فإن من واجبه أن يقوم بتقويم المتجسسين على أسرار الناس وخصوصياتهم بكل ما منحه الله من قوة وسلطان مرة بالترهيب، وأخرى بالترغيب، منفذًا ما يتوعد أو يعد به، ظني أن ذلك لو قام به ولي الأمر صادقًا قلبه لا تأخذه في الله لومة لائم فإنه سيحمل المتبعين للعورات أن يقلعوا لا محالة خوفًا من العقاب وطمعًا في الثواب.

١١ ـ أن يتذكر المرء العواقب المترتبة على تتبع العورات:

ذلك أن الوقوف على عواقب الأمور، والأشياء سيحمل على اتخاذ موقف

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ... ص ٤٢ رقم ٧٨/ ١٧٧/ ٤٩، والترمذي في: السنن: كتاب الفتن: باب ما جاء في تغيير المنكر ... ص ٤٩٩ رقم ٢١٧٢ كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعًا به، وعقَّب الترمذي بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الأثر سبق تخريجه.

إقبال أو إدبار حسب نوعية هذه العواقب وقد قدمنا طائفة من العواقب الضارة والآثار المهلكة لتتبع العورات وحتى يسلم المرء من هذه العواقب وتلك الآثار فإن عليه أن يتذكرها على الدوام ويسأل نفسه.

أيسره أن تذهب هيبته، ويخسر ثقة الناس به؟ أم يسره أن يتورط في مزيد من المعاصي والسيئات؟ أم يسره حلول الغضب الإلهي به المتمثل في فضحية الدنيا والآخرة؟ أم يسره زرع الأحاقد والضغائن في النفوس؟ أم يسره اقتداء الآخرين به فيحمل وزرًا على وزر؟ أم تسره الفرقة والقطيعة بين الناس؟ أم يسره الحرمان من العون الإلهي، والتأييد الرَّباني؟ أم يسره طول الطريق، وكثرة التكاليف؟

ظني أن عاقلاً لا يسره شيء من ذلك بحال من الأحوال.

١٢ ـ أن يتذكر المرء عواقب الجواسيس والمتتبعين للعورات:

ذلك أن السعيد من وعظ لغيره ومن ذلك دوام النظر في حال المتتبعين العورات إذ حالهم ناطقة أنهم تفانوا في خدمة سادتهم ثم طرحوا في المزابل وعلى قارعة الطريق: وما جنوا سوى غضب الله ورسوله، ولعنة الملائكة والناس أجمعين، إن هذا التذكر قد يحرك القلب النائم فيستيقظ والغافل فيتنبه ومن ثم يكون الإقلاع، وتكون التوبة.

***

الآفة التاسعة والثلاثون
«الاحتقار»

الآفة التاسعة والثلاثون
«الاحتقار»

والآفة التاسعة والثلاثون التي ليست اقل خطراً من سابقتها إنما هي: «الاحتقار». وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلي بها، ويحترز منها من سلمة الله عز وجل منها، فإنه لابد من تصور دقيق لأبعاد ومعالم هذه الآفة، وذلك من خلال هذه الجوانب:

الجانب الأول: ما هية الاحتقار لغة واصطلاحًا:

لغـــة:

الاحتقار: لغة.

(١) الاستصغار تقول: تحاقر: تصاغر وتحاقرت إليه نسبه: تصاغرت[1] ومنه قوله ﷺ.

« إياكم ومحقرات الذنوب . . . الحديث»[2] يريد: صغائر الذنوب ولا تعارض بين هذه المعاني إذ الاحتقار هو الاستصغار المؤدى إلى الإذلال والإهانة مطلقًا أعم من أن تكون مع المبالغة أو بلا مبالغة.

(٢) الإذلال، والاستهانة يقال: حقر الشيء حقراً، وحقرة، وحقارة أذلة، واستهان به، وفلان: حقير أي: ذليل وهين.

(٣) المبالغة في الاحتقار: تقول حقرة: بالغ في حقرة.

---

(١) انظر: انظر: المعجم الوسيط ١/ ١٨٧ الصحاح في اللغة واللوم للمرعشليين صـ ٢١٧ بتصرف.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ وتمامه: «فإنهن تجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادًا، فأجّجوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها».

اصطلاحًا:

أما الاحتقار اصطلاحًا هو: استصغار شخص ما أو طائفة لشخص آخر أو لطائفة أخرى في نفسه أو فيما يصدر عنه بصورة تؤدى إلى الإذلال والإهانة مع المبالغة أو بلا مبالغة.

الجانب الثاني: سمات الاحتقار مع بيان موقف الإسلام منه والدليل:

للاحتقار سمات تدل عليه منها:

١ ـ مقاطعة الكلام ومصادرته، وإظهار معايبه.

٢ ـ محاكاة السلوك القولي، والفعلي.

٣ ـ السب، والشتم، والإهانة.

٤ ـ الإبعاد من الصدارة، والزيادة.

٥ ـ الترفع عن مشاركة المحتقر الحديث.

إلى غير ذلك من السمات.

ويقف الإسلام من الاحتقار موقف الرفض، بل والتحريم إذ يقول ﷺ:

«... المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات: «بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه»[1].

وقال أبو جُرَيٍّ جابر بن سليم: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلا صددوا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ قلت: عليك السلام يارسول الله: مرتين، قال: «لا تقل: عليك السلام: فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك».

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم ... ص ١١٢٤ رقم ٣٢/٢٥٦٤/٦٥٤١، والترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة صـ ٤٤٩ رقم ٦٩٢٧ وابن ماجه في: السنن: كتاب الزهد: باب البغي صـ ٦١٣ رقم ٤٢١٣ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وأحمد في: المسند٣/٤٩١ من حديث واثلة بني الأسقع رضي الله عنه مرفوعًا.

قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشف عنك وإن أصابك عام سَنَة، فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء، أو فلاة فضلَّت راحلتك فدعوته ردها عليك» قلت: اعهد إليَّ قال: «لا تَسُبَّنَّ أحداً» قال: فما سببت بعده حراً ولا عبداً، ولا بعيراً، ولا شاة قال: «لا تحقرن شيئًا من المعروف وأن تكلِّم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف وارفع إزارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرءٌ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه»[1].

وقال ﷺ :

«يانساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة لجارتها، ولو فرسن شاة»[2].

وقال ﷺ :

«إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير الحق»[3].

إلى غير ذلك من الأحاديث.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب اللباس: باب ما جاء في إسبال الإزار رقم ٤٠٨٤، وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح أبي داود ٢ / ٧٦٩ وقال: «صحيح» والترمذي في: السنن: كتاب الاستئذان : باب ما جاء في كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئًا صـ ٦١٧ رقم ٢٧٢٢ كلاهما من حديث جابر بن سليم رضي الله عنه مرفوعًا وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح: كتاب الأدب: باب لا تحقرن جاره لجارتها صـ ١٠٥٢ رقم ٦٠١٧ وكتاب الهبة: باب فضل الهبة صـ ٤١٥ رقم ٢٥٦٦ ومسلم في : الصحيح: كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة، ولو بالقليل صـ ٤١٥ رقم ٩٠/ ١٠٣٠ / ٢٣٧٩ كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في الغيبة صـ٦٨٨ رقم ٤٨٧٦ وذكره الألباني في : صحيح أبي داود ٣/ ٩٢٣ وقال: «صحيح» وأحمد في : المسند ١/ ١٩٠ رقم ١٦٥١ كلاهما من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا وروى أبو داود رقم ٤٨٧٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السِّبَّتان بالسبَّة».

ومن قبل قال الله ـ عز وجل ـ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١).

وقال سبحانه ـ حكاية عن رد الملأ على نوح ـ عليه السلام ـ إذ قالوا:

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء: ١١١).

وردّ نوح ـ عليه السلام ـ عليهم بقوله:

﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود: ٣٠).

الجانب الثالث: آثار الاحتقار، وعواقبه:

أ ـ على العاملين:

هناك آثار سيئة للاحتقار، وعواقب وخيمة، على العاملين نذكر منها:

١ ـ الغضب والسخط الإلهي:

ذلك أن الله جعل رحمته في صحبة الضعفاء ومجالستهم، إذ يقول سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

فإذا ما نظر إلى هؤلاء نظرة احتقار، وانتقاص وإهانة كان العقاب الإلهي المتمثل في غضبه، وسخطه سبحانه.

إذ يقول أبو هبيرة عائذ بن عمرو المزني ـ وهو من أهل بيعة الرضوان ـ رضي الله عنه إن أبا سفيان أتى على سلمان، وصهيب، وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش، وسيدهم

فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[1].

٢ ـ الحرمان من التأييد، والعون الإلهي:

ذلك أن الله يعطي نصره بسبب الصالحين، والضعفاء، وعليه قالوا بوجوب احترامهم، وتوقيرهم، لمكانتهم في الأمة، فإن قوبلوا بالاحتقار والحط من أقدارهم: سحب الله نصره وتأييده من أولئك الذين حطوا من أقدارهم واحتقروهم.

جاء في بيان فضل الصالحين والضعفاء قول نوح - عليه السلام - رداً على الملأ الذين احتقروا الضعفاء، والفقراء، طالبين منه طردهم: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (هود: ٣٠).

وقول النبي ﷺ:

«ابغوني الضعفاء، فإنما تنصرون، وترزقون بضعفائكم»[2].

٣ ـ الاعتداء على حرمات المحتقر:

ذلك أن المحتقر ينظر إلى المحتقر على أنه ضعيف لا حول له ولا قوة وقد تحمله هذه النظرة على العدوان عليه في حرماته من سفك دم وانتهاك عرض وسلب مال ونحو ذلك.

على نحو ما صنع ويصنع الكراء في ظل عصر، ومصر مع الضعفاء والفقراء.

٤ ـ ضياع رصيد المحتقر من الحسنات:

ذلك أن الإحتقار يكون سببا في تضييع رصيد المحتقر من الحسنات لأنه يقضي

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سلمان، وبلال، وصهيب ﷺ صـ ١١٠٢ رقم ١٧٠/ ٢٥٠٤/ ٦٤١٢ من حديث عائذ بن عمرو ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الجهاد: باب في الانتصار برذل الخيل الخيل والضعفة صـ ٣٧٥ رقم ٢٥٩٤ من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

عمره في سبِّ الاخرين، وقذفهم، وسلب أموالهم، وسفك دمائهم وكل ذلك على حساب رصيده من الحسنات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع فقال: «إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه: أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1].

٥ ـ تسليط الجبارين على المحتقرين:

ذلك أنه مضت سنة الحق سبحانه أنه كما يدين المرء يدان وعليه فإن المحتقرين للضعفاء والفقراء يبتليهم الله بمن هو أقوى منهم يستذلونهم ويسومونهم العذاب من باب: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠).

ومن باب: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٩).

٦ ـ كراهية الناس للمحتقرين والابتعاد عنهم:

ذلك أن الناس يحبون من يحنو عليهم، ويعرف قدرهم، ويقترب منهم، وعلى العكس يبغضون من يقسو عليهم، ويهنهم ويبتعدون عنه وعليه فإن من كانت مسيرته في الحياة احتقار الآخرين، والعدوان عليهم، فإن الناس يبغضونه وينقضون عنه لا سيما في ساعات الشدائد والمحن، فيندم، ولا ينفع الندم، ويتحسر ولا تفيد الحسرة.

٧ ـ تعريض النفس لدعوات المحتقرين المقهورين:

ذلك أن المحتقرين المقهورين لا يجدون ملاذًا ولا مأوى إلا الله، فتراهم بالليل

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر، والصلة: باب تحريم الظلم صـ ١١٢٩ ـ ١١٣٠ رقم ٥٩ / ٢٥٨١ / ٦٥٧٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

والنهار يستغيثون الله، ويستضرخونه الانتقام ممن احتقروهم وآذوهم وهؤلاء لكونهم مظلومين، منقطعين يجيب الله دعاءهم، لحديث: «. . . وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

وحديث:

«ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك، ولو بعد حين»[2].

ب ـ على العمل الإسلامي:

وكما أن للاحتقار آثاراً على العاملين فإن له آثاراً على العمل الإسلامي منها.

١ ـ الحرمان من كسب الأنصار:

ذلك أنه مضى معنا الآثار التي يتركها الاحتقار على العاملين وتكون العاقبة الحرمان من العون والتأييد الأخوي وكما قيل: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

٢ ـ الفرقة والقطيعة

ذلك أن عملا يقوم على احتقار أبنائه بعضهم بعضًا، فماذا يرجى منه أو ينتظر

(١) الحديث جزء حديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة صـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ رقم ١٣٩٥، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا صـ ٢٤٣ رقم ١٤٩٦، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة صـ ٢٣٦ رقم ١٤٥٨، وكتاب المظالم: باب الاتقاء، والحذر من دعوة المظلوم ص٣٩٥ رقم ٢٤٤٨ وكتاب المغازي: باب بعث أبي موسي، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع صـ ٧٣٦ رقم ٤٣٣٧ وكتاب التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. صـ ١٢٦٨ رقم ٧٣٧١ ، ٧٣٧٢ ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ص٣١ رقم ٢٩/ ١٩/ ١٢١، وأبو داود في: السنن: كتاب الزكاة : باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة صـ ١٦١ رقم ٦٢٥ وكتاب البر والصلة باب ما جاء في دعوة المظلوم ص ٤٦٤ رقم ٢٠١٤ والنسائي في السنن، كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة صـ ٣٣٥ رقم ٢٤٣٧ (المجتبي) وباب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد صـ ٢٥٤ رقم ١٧٨٣ وأحمد في : المسند ١/ ٢٣٣ كلهم من حديث عبد الله بن عباس ﷺ مرفوعًا.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الصيام: باب في الصائم لا ترد دعوته ص ٢٤٩ رقم ١٧٥٢ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

سوى الفرقة والقطيعة الأمر الذي يمكن الأعداء من رقاب المسلمين ويكون ما لا تحمد عقباه.

٣ ـ طول الطريق وكثرة التكاليف:

ذلك أنه إذا تمكن الأعداء من رقاب الأمة، واستنزفوا خيراتها وثرواتها، وفكر الناس في التحرير، وخلع ربقة الأعداء، فإن الأمر يتطلب منهم كثرة تكاليف وتضحيات ويطول الطريق إلا أن تدرك الناس رحمه الله.

الجانب الرابع: الأسباب المؤدية إلى الاحتقار:

هناك أسباب كثيرة تؤدى إلى الاحتقار نذكر منها:

١ ـ احتقار الأسرة الآخرين:

قد ينشأ المرء في أسرة شأنها احتقار الآخرين والنيل منهم ويشاهد هذا فيها على الدوام، وتكون العاقبه سريان هذا الداء إليه من حيث لا يدري، ولا يشعر لا سيما وأنه تأثير السلوك أوقع وأفعل في النفس من تأثير القول.

٢ ـ احتقار الأصدقاء الآخرين:

كما قد يعيش المرء في جو من الصداقة شأنه احتقار الآخرين والاعتداء على حرماتهم، ويأخذ في الاقتداء بهم: أو على الأقل محاكاتهم والتشبه بهم، لا سيما إذا كان في أول نشأته أو ليست لديه الحصانة الكافية حتى يصبح الاحقتار للآخرين خلقًا من أخلاقه.

٣ ـ الرغبة في الثأر، والانتقام:

كذلك الرغبة في الثأر والانتقام، قد تكون السبب في الاحتقار ذلك أن المرء قد يعامل من الآخرين: بيتًا، مدرسة، مجتمعًا باحتقار، وعدوان بين، ويتولد في نفسه الحقد حتى إذا أتيحت له الفصرة كان الثأر والانتقام كمظهر من مظاهر الاحتقار.

٤ ـ الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم:

إذا قد يخص الله عز وجل بعض الناس بنعمة أو أكثر من مال أو أهل أو ولد

او وجاهة، أو رياسة، أو علم أو قبول وإلف، أو قدرة على التأثير ، أو نحو ذلك، في الوقت الذي يقف فيه عند هذه النعمة أو تلك النعم، وينسى المنعم، وتكون النتيجة احتقار الآخرين، والنيل منهم.

٥ ـ الجهل بميزان التفاضل في هذا الدين:

ذلك أن ميزان التفاضل في هذا الدين ليس بمال، والأهل والولد ونحوها إنما هو بالإيمان والعمل الصالح أو التقوى كما قال سبحانه:

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ:٣٧) وكما قال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**(الحجرات:١٣) ومن يجهل هذا الميزان يقع لا محالة في آفة احتقار الآخرين والنيل منهم، والعدوان عليهم.

٦ ـ عدم عناية المرء بمظهره:

ذلك أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده من باب **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾** (الضحى:١١) سواء في الملبس أو المركب، أو المسكن، أو نحوها.

والذي يجتهد في إخفاء النعمة، ويظهر بمظهر غير لائق به إنما يفتح الباب أمام الآخرين لاحتقاره، والنيل منه، والعدوان عليه وربما على أهله وذويه، فتكون « على نفسها جنت براقش»[1].

٧ ـ عدم قيام المجتمع بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين:

ذلك أن واجب المجتمع حماية الفضيلة، ومحاربة الرذيلة بكل الأساليب والوسائل الممكنة على ألا تتعارض مع مباديء الشرع الحنيف ومن ذلك مقاومة احتقار الناس بعضهم بعضًا، وإذا لم يقم المجتمع بواجبه في مقاومة داء الاحتقار والقضاء عليه، فإنه يتفشى وينتشر في كل نواحي المجتمع وسائر جوانب الحياة.

(١) هو مثل مشهور يضرب لمن يجلب الشر إلي نفسه بيديه وهو لا يدري ولا يشعر.

ويكون مالا تحمد عقباه مما سبق ذكره في الآثار، والعواقب.

٨ ـ عدم قيام ولي الأمر بواجبه في القضاء على الاحتقار.

ذلك أن واجب ولي الأمر في الأمة: حفظ الأمن والنظام، وضبط كل شئون الحياة، ومن ذلك مقاومة الاحتقار، والقضاء عليه بكل ما منحه الله من أساليب القوة ووسائل المواجهة وحين يهمل في القيام بذلك يتفشى الاحتقار وينتشر ويسري في المعمورة سريان النار في الهشيم.

٩ ـ نسيان الآثار والعواقب المترتبة على الاحتقار.

قد يكون نسيان الآثار والعواقب المترتبة على الاحتقار من بين أسباب الوقوع في الاحتقار إذ من المعلوم أن نسيان الآثار والعواقب المترتبة على أمر ما قد تقود لا محالة إلى الوقوع فيه سيما إذا كانت النفس تميل إلى ذلك أو تهواه.

١٠ ـ عدم مراقبة الله والغفلة عن اليوم الآخر:

ذلك أنه عدم مراقبة الله والغفلة عن اليوم الآخر، وما قد يكون فيه من شدائد وأهوال قد تقود جميعًا إلى احتقار الآخرين والنيل منهم، والعدوان عليهم إلى غير ذلك من الأسباب.

الجانب الخامس: علاج الاحتقار والوقاية من هذه الآفة:

إذا كان هذا شأن الاحتقار ماهية ومضمونًا وحكمًا وآثارًا وأسبابًا فما طريق العلاج بل الوقاية والاحتراز ويمكن إجمال ذلك في هذه الخطوات:

١ ـ أن يقوي المرء في نفسه ملكة المراقبة لله عز وجل:

ذلك إنه إذا قويت مراقبة العبد لربه من أنه سبحانه يسمع ويرى ويعلم كل شيء وكان مبتلى بآفة احتقار عباد الله، والنيل منهم فإنه يقلع عن ذلك استحياءً من ذي الجلال والإكرام.

أما إذا كان سالمًا من هذه الآفة فإنه يتفقد نفسه، ويحرص كل الحرص ألا تتسرب إليه، أو تسيطر عليه، وسبق بيان طريق تقوية هذه الملكة.

٢ ـ أن يستحضر المرء الوقوف بين يدي الله عز وجل غداً:

ذلك أن المرء حين يستحضر ساعة الوقوف بين يدي الله سبحانه وأنه سيسأله عن كل شيء ومن ذلك احتقار عباد الله والنيل منهم، والعدوان عليهم ثم بعد ذلك يكون القصاص وربما التعذيب بالنار وبئس المصير، حين يستحضر ذلك فإنه يبادر بتطهير نفسه من آفة الاحتقار هذه بل يعمل ألا يبتلي بها مرة أخرى، وقايةً لنفسه من هذا الموقف الأليم، وما سيكون بعده من شدائد، وأهوال.

٣ ـ أن تعيد الأسرة النظر في سلوكياتها:

ذلك أن الأسرة إذا أعادت النظر في سلوكياتها: أقوالاً وأفعالاً وأقلعت عن احتقار الآخرين، والنيل منهم، واعتذرت لأبنائها عما كان منها في الماضي وبصرتم بضرورة تقدير الناس واحترامهم، وكف الأذى عنهم، إذا فعلت فإن له أعظم الأثر في التخلي عن الاحتقار، وتحصين النفس ضده.

٤ ـ أن ينزع المرء نفسه من الصداقات الضارة، ويرتمي في محضن الصداقات النافعة:

ذلك أن المرء إذا انتزع نفسه من الصداقات الضارة وحرص على الارتماء في محض الصداقات النافعة فإن ذلك يفتح له نافذة: أن يقلع عن احتقار الآخرين بل والوقاية من العودة إلى ذلك مرة أخرى، حيث وجد على الخير أعوانا بعد أن كان يجد على الشر أعوانًا.

٥ ـ أن يجاهد المرء نفسه على ترك الحقد المتمثل في حب الثأر والانتقام:

ذلك أن المرء إذ أراد التخلص من احتقار الآخرين والنيل منهم فإن عليه أن ينسى إيذاء الآخرين له بالاحتقار المتمثل في العدوان عليه إذ هذا ذنب الذين آذوه لا ذنب من يفكر هو في إيذائهم وليتذكر أجر الصفح، والعفو ، بل الإحسان، انطلاقاً من قوله سبحانه:

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وقوله سبحانه:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩).

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠).

وليتذكر موقف يوسف من إخوانه وقد آذوه في صور شتى وكذلك آذوا أخاه بنيامين، وقابل ذلك بالعفو قائلاً:

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).

كما يتذكر موقف النبي ﷺ من أعدائه، وقد عاملهم بالعفو، والصفح، فانقلبوا محبين له بعد أن كانوا مبغضين.

٦ ـ أن يكثر المرء من ذكر المنعم عند ذكر النعمة:

ذلك أن النعمة التي يتمرغ العبد فيها ليل نهار لم تأته من تلقاء نفسها وإنما كانت فضلاً من الله عز وجل والواجب حينئذ عبادته لا عبادة النعمة ويوم يصل المرء إلى هذا المستوى فإنه سيقلع عن احتقار الآخرين بالنيل منهم، والعدوان عليهم، من باب التوبة عما وقع منه في الماضي، والعزم الأكيد ألا يعود إلى هذا الاحتقار مرة أخرى وإن قطع وحرِّق بالنار، على أن هذا المحتقر للآخرين بسبب تفرده بنعمة ما ينبغي ألا ينسى: أن لدى الآخرين نعمًا مفردة ليست لديه وما كان عطاء ربك محظوراً.

٧ ـ أن يدرك المرء حقيقة ميزان التفاضل في هذا الدين:

ذلك أن ميزان التفاضل في هذا الدين إنما هو بالإيمان والعمل الصالح(التقوى) لقوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقوله سبحانه:

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (سبأ: ٣٧).

وذكر النبي ﷺ صوراً عملية لهذا الميزان، جاء عن سهل قال: مَرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفَّع، وإن قال أن يستمع قال: ثم سكت، فمرَّ رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع، فقال رسول الله ﷺ :«هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»(١).

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة . . . وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه، فجعل يرتضع» قال: فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها. قال: «ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت وهي تقول حسبي الله، ونعم الوكيل فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت : مر رجل حسن الهيئة فقلت : اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت، سرقت فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها»(٢).

وجاءت تطبيقات الصحابة لتؤكد هذا الميزان:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب النكاح: باب الأكفاء في الدين صـ ٩١٠ ـ ٩١١ رقم ٥٠٩١ وكتاب الرقاق: باب فضل الفقر صـ ١١٩ رقم ٦٤٤٧ وابن ماجة في: السنن: كتاب الزهد: باب فضل الفقر صـ ٦٠١ رقم ٤١٢٠ كلاهما من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ وبنحوه.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، وغيرها صـ ١١١٨ ـ ١١١٩ رقم ٨ / ٦٥٠٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

فبلال العبد كان يوصف بالسيد بين الصحابة.

هذا عمر يذكر فضل أبي بكر ومناقبه ومنها قوله: «وهذا سيدنا بلال حسنة من حسناته»[1].

وأقبل بلال، وأخوه في الإسلام أبو رويحة إلى قوم من خولان فقالوا: «إنا قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين، فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول، ولا قوة إلا بالله فزوجوهما»[2].

وهذا أسامة بن زيد المولى ابن المولى يفرض له عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة ويفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف، فقال عبد الله : لم فضلته عليَّ فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ قال: لأن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبي»[3].

وكان عمر رضي الله عنه : لا يلقي أسامة قط إلا قال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، توفي رسول الله ﷺ وأنت عليَّ أمير»[4].

إن إدراك المرء لحقيقة هذا الميزان سيحمله إن كان جادًا على الانسلاح من احتقار الآخرين وإهانتهم بل وحرصه عى طهارة نفسه طهارة كاملة.

٨ ـ أن يهتم المرء بحسن مظهره:

ذلك أن المرء حين يهتم ويعني بمظهره، فإنه يغلق الباب أمام احتقار الآخرين له، إذ هذا يعني أنه يعتز بنفسه مبرزًا نعمة الله تعالى عليه وأنه لا يقبل الضيم والإهانة حينئذ يهابه الآخرون ويعرفون له قدره ومكانته.

٩ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه نحو مَن يحتقرون الآخرين:

ذلك أن المجتمع إذا قام بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين، بكل الأساليب

(١) (٢) : انظر نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد بن حسن ١ / ٦٤ .

(٣) (٤) : انظر: نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١٨٤ ، ١٨٥ .

والوسائل التي لا تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف، وأقلُّ ذلك الإنكار القلبي المتمثل في قية هؤلاء ومحاصرتم بحيث يشعرون أنهم غرباء، وأن مصالحهم أصبحت معطلة إن ذلك لو وقع من المجتمع سيكون من أنجح الطرق التي تحمل على التحرر من احتقار الآخرين، بل والعمل على تحصين النفس من دخول الاحتقار إليها مرة أخرى.

١٠ ـ أن يقوم ولي الأمر بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين:

أجل لو أن ولي الأمر قام بوابه نحو من يحتقرون الآخرين، مرة باللين ومرة بالشدة، مرة بالترغيب ومرة بالترهيب ولوليّ الأمر من الهية والاحترام ما ليس لغيره إنه لو قام بذلك لعمل بسرعة على معالجة الاحتقار والحصانة ضده. وما أجمل لو كان ذلك مصحوبًا بالإخلاص لله، واتباع السنة إن الله حينئذ سيبارك العمل ويمنح النصر والتأييد.

١١ ـ أن يتذكر المرء على الدوام عواقب الاحتقار:

ذلك أن هذا التذكر سيحمل العاقل على ترك الاحتقار، وحماية النفس من أن يقتحمها مرة أخرى لا سيما وأن هذه العواقب تشمل الدنيا والآخرة وتتناول الفرد والجماعة جميعًا.

***

الآفة الأربعون
«الشماتة»

الآفـــة الأربعـــون
«الشماتة»

والآفة الأربعون التي يبتلى بها نفر من العاملين وتكاد تعصف بالوحدة التي هي أساس التـمكين لمنهج الله في الأرض إنما هي: «الشماتة» وحـتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلي بها ويتوقاها من سلمه الله عز وجل منها فإنه لابد من الوقوف على أبعادها ومعالمها من خلال هذه الجوانب:

الجانب الأول: تعريف الشماتة لغة واصطلاحًا:

لغة: الشماتة في اللغة هي:

١ ـ الفرح ببليـة أو مصيبة العـدو، تقول: شمت به، أو بعدوه شـماتة: فرح بمكروه أصابه، أو ببلية العدوِّ.

ومنه قوله سبحانه:

﴿فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

٢ ـ سوء الحال التي تحـمل على الشماتة تقول: وقع في الـشماتة، وبات طوع الشوامت: باءت حاله بحيث يشمت به.

٣ ـ الخيبـة تقول: شمتـة الله: خيبة. ويقـال: خرج القوم في غزاة، فـقفلوا: شمـاتى، ومتشمـتين: رجعوا خـائبين فلم يغلموا[1] ولا تعارض بين هذه المعاني جميعًا، إذ هي الفرح ببلية العدو ومصيبة من خيبة، وهزيمة، وفاجعة ونحوها.

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصـفهاني صـ ٢٧٣، ومـعجم مقـاييس اللغة ٣/ ٢١٠، والصحـاح في اللغة والعلوم ٣/ ٢١٠، لـسان العرب ٢/ ٥١ ـ ٥٢ المعجم الوسيط ١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ ، الصحاح في اللغة والعلوم صـ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ بتصرف كثير.

اصطلاحًا:

ذكر العلماء تعاريف عدة للشماتة اصطلاحًا نذكر منها.

١ ـ تعريف الراغب الأصفهاني، إذ قال:

«الشماتة: الفرح بمن تعاديه، ويعاديك»[١].

٢ ـ تعريف القرطبي:

«الشماتة: السرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدين والدنيا»[٢].

٣ ـ تعريف المناوي:

«الشماتة: الفرح بمصيبة العدو»[٣].

٤ ـ تعريف الكفوي:

«الشماتة: السرور بمكاره الأعداء»[٤].

٥ ـ تعريف ابن مفلح: «الشماتة هي الفرح ببلية العدو»[٥].

ورأيي: أن الاختلاف بين هذه التعريفات إنما هو في الألفاظ فقط أما المؤدَّى فواحد غير أن تعريف القرطبي أكثر بسطا، ووضعًا للنقاط على الحروف حيث يوضح أن المصيبة التي يفرح بها تشمل الدين والدنيا معا.

الجانب الثاني: مظاهر الشماتة، وحكمها، ودليل هذا الحكم:

للشماتة مظاهر تدلُّ عليها نذكر منها:

١ ـ التبريكات، والنهائي التي غالبًا ما تكون مصحوبة بالولائم ونحوها.

٢ ـ التعريض، والتلويح والكناية التي غالبًا ما تصحبها النكات.

(١) انظر: المفردات ص ٢٧٣ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٩١ .

(٣) انظر: التوقيف صـ ٢٠٨ .

(٤) انظر: الكلمات صـ ٥٠٨ .

(٥) انظر: الآداب الشرعية ١/ ٤٠٨ .

٣ ـ محاكاة مصائب العدو وبلاياه عن طريق التمثيليات، والمسرحيات والمسلسلات، والكاريكاتير، ونحوها.

والشماتة في الجملة حرام، لقوله ﷺ:

«لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»[(١)].

وقوله ﷺ:

«من عيَّر أخاه بذنب، لم يمت حتى يعمله»[(٢)].

وكان ﷺ:

يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء[(٣)].

وطلب هرون من أخيه موسى لما أخذ برأسه حين رجع فوجد قومه قد عبدوا العجل من دون الله، ألا يشمت به الأعداء، فقال: ﴿**ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (الأعراف: ١٥٠).

بيد أن الفرح بنزول المصيبة أو البلية بالعدو المحارب لدين الله المذلِّ لعباده جائز، من قبيل شفاء صدور قوم مؤمنين، وذهاب غيظ قلوبهم فقد قال الله عز وجل:

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب لا تظهر الشماتة صـ ٥٧٠ رقم ٢٥٠٦ من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن غريب» وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٣١٠ عازيًا إياه إلى الترمذي، ووافق على تحسينه.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب في وعيد من عيَّر أخاه بذنب صـ ٥٦٩ رقم ٢٥٠٥ من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا. وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن غريب، وليس إسناده بمتصل» وقال عنه محقق الآداب الشرعية ١/ ٤١٢: «وإسناده منقطع، وضعيف».

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الدعوات: باب التعوذ من جهد البلاء ص ١١٠٣ رقم ٦٣٤٧ وكتاب القدر: باب مَن تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء صـ ١١٤٤ رقم ٦٦١٦ ومسلم في: الصحيح: كتاب الذكر والدعاء: باب في التعوذ من سوء القضاء، ودرك الشقاء وغيره صـ ١١٧٧ رقم ٥٣/ ٢٧٠٧/ ٦٨٧٧ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ (التوبة: ١٤ ـ ١٥).

وقال الله تبارك وتعالى:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (الروم: ٢ ـ ٦).

يقول ابن عطية:

«وروي في قصص هذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره:

أن الكفار لما فرحوا بمكة بغَلَبِ الروم بشر الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين أي من الثلاثة إلى التسعة فلما بشرهم بذلك خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى المسجد فقال لهم: «أسركم أن غلبت الروم؟ فإن نبينا أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون في بضع سنين» وقال له أبيّ بن خلف وأمية أخوه وقيل: أبو سفيان بن حرب فقال يا أبا فصيل يعرضون بكنيته بالبكر فلنتاخب أي نتراهن في ذلك فراهنهم أبو بكر قال قتادة وذلك قبل أن يحرم القمار وجعل الرهان خمس قلائص والأجل: ثلاث سنين فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال له: أن البضع إلى التسع، ولكن ارجع فزدهم في الرهان واسترذهم في الأجل ففعل أبو بكر رضي الله عنه فجعلوا القلائص مائة والأجل تسعة أعوام فغلبت الروم في أثناء الأجل فروى عن أبي سعيد الخدري أن إيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر وروي أن ذلك كان يوم الحديبية وأن الخبر بذلك وصل يوم بيعة الرضوان روي نحوه عن قتادة وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين...

ثم استأنف عطف جملة أخبر فيها أن يوم غلبة الروم للفرس يفرح المؤمنين بنصر الله...»[1].

(١) انظر: المحرر الوجيز ١١/ ٤٢٤ ـ ٤٢٨ باختصار كثير.

وفرح النبي ﷺ ومعه المؤمنون بنصر الله لهم يوم بدر ودحر المشركين وهزيمتهم كما فرحوا بالنصر في سائر الغزوات لا سيما في غزوة خيبر وفتح مكة لأنه بسقوط خيبر آخر معقل لليهود في الجزيرة العربية وفتح مكة استقر الإسلام في الجزيرة وفتحت الطريق أمام دعوة الإسلام لتنساح في كل أنحاء الأرض خارج الجزيرة وشمت المسلمون بالكافرين لأنهم حادوا الله ورسوله، وظنوا أنه لا غالب لهم فكان عكس ما توقعوا: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١).

الجانب الثالث: آثار الشماتة، وعواقبها:

أ ـ على العاملين:

للشماتة آثار سيئة، وعواقب خطيرة على العاملين نذكر منها:

١ ـ تعميق العداوة والكراهية:

ذلك أن الشماتة إنما تنشأ من العداوة والكراهية، وحين تقع فإنها تعمق العداوة، والكراهية لدى المشموت به، وتحمل على تمني نزول الضر بالشامتين وأن يذوقوا من نفس الكأس الذي شربوا منه».

٢ ـ تقطيع أواصر الأخوة:

ذلك أن حق الأخ على أخيه: أن يحبَّ له ما يحب لنفسه وأن يبغض له ما يبغض لنفسه إذ يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه صـ٥ رقم ١٣، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير صـ ٤١ رقم ٧١ ، ٧٢ / ١٧٠ ـ ١٧١، والترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب حديث حنظلة صـ ٥٧٢ رقم ٢٥١٥ كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ، وبنحوه، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث صحيح».

ومراعاة هذا الحق تقوي أواصر الأخوة، وتمتنها فإذا ما شمت الأخ: بأخيه لضرٍّ نزل به، أو مصيبة: فقد أتى ما يؤدي إلى تقطيع أواصر الآخوة، والقضاء عليها، وهذا فيه من الخطر ما فيه.

٣ ـ تعريض النفس للانتقام الإلهي:

ذلك أن من عواقب الشماتة بالغير تعريض النفس للانتقام الإلهي لأن الشماتة بالغير تعني تزكية النفس والبناء عليها وأنها سالمة من الخطأ الذي كان سببا في نزول المصيبة بالمشموت به غالبا، وليس من حق المرء أن يزكي نفسه وأن يثني عليها لقوله سبحانه:

﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (النجم: ٣٢).

وقوله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٤٩).

وحين يزكي المرء نفسه، ويثني عليها: يكون العقاب، والانتقام الإلهي تأكيداً لمبدأ: «كل ابن آدم خطاء. .»[١].

وقد وقع ذلك فعلاً.

إذ قال بعض السلف:

«عبت شخصا قد ذهب بعض أسنانه فذهبت أسناني ونظرت إلى امرأة لا تحل لي فنظرت زوجتي إلى من لا أريد»[٢].

وقال ابن سيرين: «عيرت رجلاً بالإفلاس ، فأفلست»[٣].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة: باب في استعظام المؤمن ذنوبه صـ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ رقم ٢٤٩٩ من حديث علي بن مسعدة الباهلي عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بلفظ : «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» وعقب عليه بقوله: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عليّ بن مسعدة عن قتادة» وابن ماجه في: السنن: كتاب الزهد: باب ذكر التوبة صـ ٦١٩ رقم ٤٢٥١ من حديث أنس مرفوعاً، وأورده الحافظ ابن حجر في: فتح الباري ٣٤٦/٤ وعقب عليه بقوله: «سنده قوي».

(٢) (٣) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح ٤١٣/١ .

٤ ـ خسارة احترام الناس وتقديرهم:

ذلك أن الأصل في الإنسان أنه مخلوق على البراءة الأصلية وأنه محل ثقة الاخرين، واحترامهم فإذا ما ظهر منه الشماتة لما ينزل بالناس من محن وابتلاءات فإن الناس يغيرون نظرتهم إليه معتبرين أنه مريض نفسيًا لا يحب الخير للناس بل يفرح لأتراحهم ويأخذون في سحب ثقتهم منه وتقديرهم إليه فيضيق الخناق حول عنقه وتتعطل مصالحه وتصير حياته جحيمًا لا يطاق.

٥ ـ القلق والاضطراب النفس:

ذلك أن الشامت بالآخرين قد أتى إثمًا يكون سببًا في سواد جانب من القلب ويتابع الشماتة فيزيد السواد حتى يغطي القلب فذلك هو الران ويزيد أكثر وأكثر حتى يكون قفل القلب وختمه بخاتم، وحينئذ يكون القلق والاضطراب النفسي وتشتت الذهن وضياع الذاكرة في عقوبات أخرى نفسية لا يعلمها إلا الله عز وجل.

٦ ـ ضياع المهمات:

ذلك أن المشغول بالشماتة بالآخرين ينسى الأمور الأساسية والمهمة في حياته إذ لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه فإذا اشتغل بعيوب غيره علاه العيب من كل ناحية ولم يعد لديه وقت لإصلاح عيبه، والمضي قدمًا إلى الأمام.

ب ـ علي العمل الإسلامي:

وكما أن للشماتة آثارًا سيئة، وعواقب خطيرة على العاملين فكذلك لها آثار سيئة، وعواقب خطيرة على العمل الإسلامي التي يمكن إجمالها فيا يلي:

١ ـ القطيعة والفرقة:

ذلك أن الآثار والعواقب التي مضى الحديث عنها بالنسبة للعاملين ستثمر لا محالة القطيعة والفرقة، التي هي أخطر ما يصيب العمل الإسلامي، حيث تمكن الأعداء من رقاب المسلمين وتفتح أمامهم الباب للسيطرة علي خيرات بلادهم، وثرواتها والعمل على تغيير ثقافتهم وقيمهم وآدابهم.

٢ ـ طول الطريق، وكثرة التكاليف:

ذلك أنه إذا صارت بلاد المسلمين تحت سيطرة أعدائهم فإن هزيمة هؤلاء الأعداء، وإجلاءهم عن بلاد المسلمين تحتاج إلى زمن طويل مع كثرة التكاليف والتضحيات في النفس وفي المال بحيث يرحل العدو، وقد استنزف كل ما لدى المسلمين من خيرات وثروات وترك وراءه ذيولاً وأذنابًا يقومون بمهمته بعد رحيله فيصير غائبًا حاضرًا.

الجانب الرابع: أسباب الوقوع في الشماتة:

هناك أسباب توقع في: الشماتة، وبواعث تؤدي إليها، نذكر منها:

١ ـ الأسرة:

ذلك أن الأسرة عليها معوَّل كبير في تربية أبنائها بالقول والفعل على أن كل ما يقع في هذا الوجود إنما هو قضاء الله وقدره إذ يقول سبحانه:

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

وعليها أن تربيهم كذلك على أنه لا داعي للفرح لمصائب الناس وبلاياهم بل ينبغي المشاركة لهؤلاء وجدانيًا وسلوكيًا لتتآلف القلوب ، وتتجاذب النفوس، ويكون تكاتف السواعد، وتشابك الأكف، وتتحقق الوحدة ويوم أن تهمل الأسرة القيام بهذا الدور فيكون سلوك الكبار فيها مبنيًا على الشماتة بالغير ولا تعلم أبناءها المعاني التي سبقت الإشارة إليها، حينئذ تخرج للمجتع أناسًا لا همَّ لهم إلا الشماتة بالغير.

٢ ـ الأصدقاء:

ذلك أن شخصية المرء إنما تتشكل من خلال أصدقائه فإن كانوا أخيارًا كانت الشخصية السوية وإن كانوا أشرار كانت الشخصية غير السوية وعليه فإذا ما صادق المرء أقوامًا شأنهم الشماتة بما ينزل بالآخرين من شدائد وامتحانات فإن ذلك

ينعكس عليه لا سيما إذا كان عوده لم يزل غضًا، طريًا، ويصبح ضمن قافلة الباغين للبرءاء العنت، والعثار للسليم، والشامتين في عباد الله .

٣ ـ مقابلة السيئة بمثلها:

ذلك أن المرء قد يمتحن لسبب أو لآخر، ويرى الشامتين، وقد علتهم أمارات الشماتة، حيث زالت العداوة من بينهم وكثرت لقاءاتهم وكانت التهاني الواحدة تلو الأخرى، فيضمر ذلك في نفسه حتى يأتى أمر الله، وينزل بهؤلاء الشامتين مثل ما نزل به أو أشد، فيشمت هو الآخر من باب مقابلة السيئة بمثلها.

إذ يقول الحقُّ سبحانه:

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤).

ويقول:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠).

٤ ـ الاستذلال والقهر:

ذلك أن الناس في هذه الأرض ما بين قوي وضعيف وقد تحمل إمكانات القوي أن يستذل ويقهر الضعفاء وتمضي سنة الله فيسلط الله على هذا القوي من هو أقوى منه فيستذله ويقهره كما استذل الآخرين وقهرهم.

٥ ـ عدم استنكار المجتمع على الشامتين صنيعهم:

ذلك أن المجتمع إذا لم يقم بواجبه نحو الشامتين فيستنكر قبيح صنيعهم هذا، ويعمل على ردعهم، ولو بالإنكار القلبي المتمثل في المحاصرة والمقاطعة وتعطيل المصالح، إذا لم يقم المجتمع بذلك فإن الشامتين قد يظنون أنَّ المجتمع مستحسن عملهم راضٍ عنهم فيتمادون أكثر وأكثر وتشيع الشماتة بين الناس.

٦ ـ عدم ردع ولي الأمر للشامتين:

ذلك أن الله أعطى ولي الأمر من السلطان ما يمكنه من ملاحقة الرذيلة، والقضاء عليها، أو على الأقل محاصرتها في دائرة ضيقة للغاية إذ بيده فوق

الحدود والقصاص سلطان التعزير يصنع به ما يشاء بما لا يتعارض مع مباديء الشرع الحنيف وحين لا يستخدم ولي الأمر سلطانه في تقويم، وردع الشامتين فإن خطرهم يستشرى وتصبح الشماتة سمة غالبة في المجتمع.

٨ ـ نسيان العواقب المترتبة على الشماتة:

ذلك أن المرء حين ينسى العواقب المترتبة على الشماتة الفردية والجماعية الدنيوية والأخروية، فإنه يتورط لا محالة في هذه الآفة ويبتلى بهذا الداء ويسعى بظلفه إلى حتفه.

٧ ـ إهمال النفس من المراقبة والمحاسبة والمتابعة:

ذلك أن كلَّ إنسان مبتلى بنفسه الأمارة بالسوء وشيطان الجن القاعد له بكل طريق وكذلك شياطين الإنس أعوان شيطان الجن وكذلك الدنيا ببريقها وشدائدها وعليه أن يكون مستيقظًا منتبهًا على الدوام لهؤلاء الأعداء ويحزم أمره على المجاهدة ولئن ضعف واستسلم فعليه أن يعمل على تخليص نفسه ويصلح خطأه ثم يتابع أمره حتى يظل ماضيا في الطريق إلى نهايتها دون توان أو انحراف.

وحين يغفو الإنسان وتعتريه الغفلة فإن نفسه الأمارة بالسوء بإيعاز من الشياطين الجنية والإنسية وبإيعاز من الدنيا ستتورط في كثير من الآفات ومنها آفة الشماتة.

ولعلنا بذلك نفهم السر الذي من أجله دعا رب العزة سبحانه عبادة إلى تجديد محاسبة النفس المرة بعد المرة وذلك في قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ (الحشر:١٨).

الجانب الخامس: طريق علاج الشماتة، والوقاية منها:

إن طريق علاج الشماتة والوقاية منها يمكن تلخيصها في هذه الخطوات:

١ ـ أن تقوم الأسرة بواجبها التربوي:

ذلك أن الأسرة إذا قامت بواجبها التربوي من تطهير النفس من آفة الشماتة، فصارت أسوة كريمة وقدوة طيبة أمام المنتمين إليها، وعملت في نفس الوقت على

توجيه هؤلاء، وإرشادهم إلي ضرورة التخلص من هذه الآفة، بل عملت على التوجيه إلى التسامح وشكر الله على العافية مما ابتلي به كثيراً من خلقه إذا قامت الأسرة بذلك فإن له دوراً كبيراً في التخلص من الشماتة.

٢ ـ أن يحتوي أصدقاء الخير الشامتين:

إذ علي من ابتلي بهذه الآفة أن ينتزع نفسه من أحضان أصدقاء السوء وأن يرمي بنفسه في أحضان أصدقاء الخير وعلى أصدقاء الخير أن يكونوا محاضن في كل حي بل في كل شارع لا ستيعاب واحتواء هذا الصنف وأن يعملوا بما لديهم من برامج ومناشط على استئصال داء الشماتة من نفس صاحبه وأن يغرسوا مكانه العفو والتسامح وشكر الله على السلامة والعافية إنهم حين يصنعون ذلك مع صدق، وإخلاص واتباع للسنة فإن الله يكلل عملهم بالنجاح ويتخلص كل شامت من دائه ويقيه الله الرجوع إليه مرة أخرى.

٣ ـ أن يرغب الشامتون في رعاية حقوق الأخوة الإسلامية:

ذلك أن الأخوة الإسلامية لها حقوق تتمثل في كف الأذى باللسان واليد لقوله ﷺ:

«المسلم من سلم المسملون من لسانه ويده..»[1].

كما تتمثل في كظم الغيظ بل العفو، والصفح الجميل بل صنع المعروف المعبر عنه بالإحسان.

قال تعالى:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٣٤) وإذا

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وباب أي الإسلام أفضل صـ٥ رقم ١٠ ، ١١ وكتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي صـ ١١٢٤ رقم ٦٤٨٤ ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان ١٦١ ـ ١٦٤، وأبو داود في السنن: كتاب الجهاد: باب في الهجرة هل انقطعت صـ ٣٥٩ رقم ٢٤٨١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأبي موسى الأشعرى ﷺ مرفوعاً به : وبنحوه.

كان الأمر كذلك، فالواجب ترغيب الشامتين في رعاية هذه الحقوق ومنها أنه لا داعي للشماتة بالغير لأن هذا هو الإيذاء الذي نهى عنه الشارع الحكيم ولا داعي كذلك للخصومة التي انتهت إلى هذه الشماتة، وأحسن من ذلك كظم الغيظ والعفو، والإحسان ليزيد رصيد الحسنات عند الله ويظل هذا الترغيب قائمًا المرة تلو المرة حتى تطهر النفوس من الشماتة ثم يغمس هذا الذي طهرت نفسه من الشماتة في برامج نافعة ومتابعة بحيث يحاط بسياج من الخير يحول بينه وبين العودة إلى هذه الآفة .

٤ ـ أن ينبه الناس إلى الرفق في المعاملة والعدل:

ذلك أن الإنسان لا يستغني عن التعامل مع غيره حتى قال ابن خلدون «الإنسان مدني بطبعه» وأحسن شيء يحبب الناس في بعضهم البعض: الرفق في المعاملة والعدل.

حتى قال الله عز وجل عن نبيه ﷺ :

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

وقال سبحانه:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وعليه فينبغي أن ينبه الناس إلى الرفق في المعاملة، والتزام العدل كيلا يفتحوا الباب أمام الشامتين، ويعمقوا الشماتة في نفوسهم.

٥ ـ أن يواظب الشامتون على محاسبة أنفسهم:

ذلك أن محاسبة المرء نفسه على الدوام تكون سببًا في تنقية نفسه من العيوب والآفات، وعليه فإن على الشامتين أن يواظبوا على محاسبة أنفسهم وأن يقتلعوا منها هذه الآفة، ثم يشترطون على أنفسهم عدم الرجوع إليها تحت أي من المؤثرات

ويتابعونها لحظة بلحظة حتى تبرأ من علتها وتعود إليها العافية من جديد.

٦ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه في مقاومة الشامتين:

ذلك أن المجتمع إذا قام بواجبه في مقاومة الشامتين بكل ما يستطيع من أساليب ووسائل فإنه قد يحمل هؤلاء الشامتين أن يقلعوا عن هذه الآفة لا سيما إذا وجدوا أنفسهم في شبه عزلة تامة، وأن مصالحهم قد توقفت أو تعطلت وأن كل واحد في المجتع يمقت فعلهم هذا ولا يرضى عنه وهكذا يستطيع المجتمع أن يفعل الكثير والكثير.

٧ ـ أن يقوم ولي الأمر بواجبه في ردع الشامتين:

ذلك أنه إذا قام ولي الأمر بما منحه الله من إمكانات في ردع الشامتين تارة بالترغيب، وتارة بالترهيب: يمكن أن يحمل الشامتين على التخلص مما ابتلوا به من هذا الداء وهذه الآفة لا سيما إذا عرفوا أن ولي الأمر يمكنه أن يوقع بهم عقوبات شديدة أقلها: الإقامة الجبرية، ومصادرة الحرية والتشهير والفضيحة.

٨ ـ أن يتحلى المشموت به بالصبر والتقوى:

ذلك أن الشامت إذا أبصر أن شماته لم تنل من المشموت به وأنه استقبل محنته بالصبر والتقوى فكأنه جبل أشم ومما يحمله ذلك على التخلص من مرضه وأن يحرص على وقاية نفسه منه بحيث لا يرجع إليه مرة أخرى يقول الحق سبحانه **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** (آل عمران: ١١٨ ـ ١٢٠).

٩ ـ أن يديم النظر في سير السلف:

ذلك أن سير السلف مليئة بالوقائع والحوادث الدالة على التحرر من الشماتة بل الحزن لما يصيب الناس من شدة ، والفرح لما ينزل بهم من النعمة.

أخرج الطبراني عن ابن بريدة الأسلمي قال: «شتم رجل ابن عباس ﷺ فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وإن فيَّ ثلاث خصال: إني لآتى على الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم وإن لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعليٌّ لا أفاضي إليه أبدًا وإنني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح، وما لي به سائمة»[(١)].

وعن جبير بن نفير ﷺ قال: «لما فتحت قبرص، فرِّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض ورأيت أبا الدرداء ﷺ جالسًا وحده يبكي فقلت : يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله قال: ويحك ياجبير ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره بينا هي أمة قاهرة، ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»[(٢)].

وفي رواية : «فسلط عليهم السباء، وإذا سلط السباء على قوم، فليس لله فيهم حاجة»[(٣)].

١٠ ـ أن يتذكر الشامتون الآثار والعواقب المترتبة على الشماتة:

ذلك أنه إذا لم ينجح كل ما مضى في اقتلاع هذه الآفة من النفس، فإن على هؤلاء الشامتين أن يتذكروا الآثار والعواقب المترتبة على الشماتة وأثر واحد يكفي لحملهم على التخلص من آفة الشماتة والعزم الأكيد على عدم العودة إليها وإن قطعوا وحرقوا بالنار فكيف لو كانت عدة آثار منها الفردي والجماعي ومنها ما

---

(١) الحديث أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٤ وعزاه إلى الطبراني قائلاً: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في: حلية الأولياء ١/ ٢١٦ من حديث جبير بن نفير بهذا اللفظ .

(٣) هذه الرواية أخرجها ابن جرير الطبري في : تاريخ الملوك والأمم ٣/ ٣١٨ من حديث جبير بن نفير.

يتصل بالأشخاص ومنها ما يتصل بالأعمال الصادرة عن هؤلاء الأشخاص ومنها ما هو دنيوي ومنها ما هو أخروي وهكذا يمكن أن يكون تذكر الآثار والعواقب المترتبة على الشماتة أنجع الدواء وآخر الدواء وصدق الله الذي يقول:

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ (الأعلى:٩).

***

الآفة الحادية والأربعون
«الغدر»

الآفـــة الحادية والأربعـــون
«الغدر»

والآفة الحادية والأربعون التي يبتلى بها بعض العاملين فتترك آثاراً سيئة وعواقب خطيرة عليهم وعلى العمل الإسلامي إنما هي: «الغدر».

وحتى يتخلص من هذه الآفـة من ابتلي بها ويتحصن ضدها من عـافاه الله عز وجل منها فإنه لابد من تصور دقيق لأبعادها ومعالمها من خلال هذه الجوانب:

الجانب الأول : الغدر لغة واصطلاحًا:

لغة:

الغدر لغة يأتي على معانٍ نذكر منها :

١ ـ الإخلال بالشيء، وتركه تقول: غدر فلان بالأمر أخل به أو تركه والمغادرة الترك وأغدر الشيء تركه وبقَّاه.

٢ ـ نقض العهد وترك الوفاء به تقول: غدر: إذا نقض العهد[1] ويقال: الذئب غادر: أي لا عـهد له، والغـدار: كثـير الغـدر أي نقض العهد ولا تـعارض بين المعنيين، إذ هو: الإخلال بالشيء وتركه كما يظهر ذلك بجلاء في: نقض العهد، وترك الوفاء به.

اصطلاحًا:

جاءت عدة تعريفات للغدر اصطلاحًا منها:

١ ـ تعريف الجاحظ إذ يقول:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤١٣ والصحاح ٤/ ٧٦٦ والمفردات للراغب ص ٣٥٨ ولسان العرب ٥/ ٨ مادة : «غدر» بتصرف.

«هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به»[1].

٢ ـ تعريف المناوي إذ يقول:

«الغدر: نقض العهد والإخلال بالشيء وتركه»[2].

ولعل تعريف المناوي أتم وأشمل إذ يتناول النقض: العهد الذي يُلزم به المرء عقلاً وشرعًا وكذلك ما يلزم المرء به نفسه يقول الراغب الأصفهاني.

«عهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبالسنة وتارة بما تلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجرى بمجراها»[3].

وأمر آخر يلاحظ على التعريفين معًا وهو الغفلة عما تحمله كلمة غدر من المفاجئة التي لم تكن متوقعة ولا منتظرة.

كأن الأحسن في التعريف أن يقال: الغدر هو: نقض العهد مطلقًا في لحظة لم تكن متوقعة ولا منتظرة.

الجانب الثاني: صور الغدر: وحكمه مع أدلة هذا الحكم:

للغدر صور، نذكر منها:

١ ـ نقض العهد الذي أخذ الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهره إذ يقول سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ (الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣).

٢ ـ نقض العهد الذي وصى الله به خلقه من فعل ما يحبه الله ويراه من الأقوال والأفعال وترك ما لا يحبه الله ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والذي تضمنته كتبه المنزلة وبلغه رسله عليهم الصلاة والسلام ومعنى نقض هذا العهد ترك العمل به.

---

(١) انظر: تهذيب الأخلاق ص ٣٠.
(٢) انظر: التوقيف ص ٢٥٠.
(٣) انظر: المفردات ص ٣٥٠.

٣ ـ نقض العهد المأخوذ على بني آدم من النظر في أدلة وحدانيته، وكمالاته المنصوبة في الكون وفي النفس، والذي تحدث عنه رب العزة في قوله سبحانه: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(الذاريات: ٢٠ ـ ٢١).

وفي قوله سبحانه:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٢)

ومعنى نقض هذا العهد: ترك النظر في هذه الأدلة.

٤ ـ نقض العهد الذي أخذه الله على النبيين، وأتباعهم أن يؤمنوا بهذا النبي وأن ينصروه وذلك في قوله سبحانه:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ٨١ ـ ٨٢).

٥ ـ نقض العهد الذي للإمام ونائبه على المسلمين من وجوب الطاعة في المعروف ونصرة دين الله عز وجل دون مبرر شرعي يقتضي ذلك.

٦ ـ نقض العهد الذي أعطاه الشارع الحكيم للكفار غير المحاربين من أهل الذمة والمستأمنين وكذلك المعاهدين دون مبرر شرعي يقتضي ذلك كأن يتحول نفر من هؤلاء إلى أن يكون محاربًا أو على الأقل يأتي أعمالاً تخالف نظام الإسلام إذ في الحديث: «ألا من قتل نفسًا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يَرُحْ رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا»(١).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب الديات: باب ما جاء فيمن يقتل نفسًا معاهدة ص ٣٤٠ رقم ١٤٠٣، وابن ماجه في: السنن: كتاب الديات: باب من قتل معاهد ص ٣٨٦ رقم ٢٦٨٧ كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ وبنحوه وعقب الترمذي بقوله: «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح» وزاد ابن ماجه رقم ٢٦٨٦ أنَّ حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا بلفظ: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا».

٧ ـ خلف الموعد بأن يعطي موعدًا وفي نيته عدم الوفاء أما إذا أعطى موعدًا وفي نيته الوفاء ولم يف لأمر خارج عن إرادته فلا يعد ذلك نقضًا لحديث:

«إذا وعد الرجل أخاه، ومن نيته أن يفي فلم يف ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه»[1].

٨ ـ نقض الحكام ونوابهم ماعاهدوا الله عليه حين بويعوا من العمل لصالح الرعية وفق منهج الله بحيث يتحول الواحد منهم بعد توليه الأمر إلى أن يكون سيفًا مصلتًا على رقاب العباد يطلق العنان لزبانيته فيصادروا حرية الناس العقيدية والفكرية والسياسية والإعلامية ويهدروا حرمتهم في دمائهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم فالناس ما بين عاطل عن العمل أو منفي بعيدًا عن أهله وعشيرته أو في إقامة جبرية أو مسجون بلا تهمة ولا محاكمة أو معذب بأبشع صور التعذيب ليدلي بمعلومات كاذبة ملفقة أو مُحاكَم محاكمة صورية أو مقتول تحت التعذيب مع دعوى انتحاره أو هروبه إلى غير ذلك من الصور التي ما تحدث إلا في شرائع الغاب، أما حكم الغدر فهو كبيرة من الكبائر التي يعاقب المرء عليها في الدنيا والآخرة جميعًا لقوله سبحانه:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ (النحل: ٩١).

وقوله سبحانه:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤).

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في العدة ص٧٠٣ رقم ٤٩٩٥ والترمذي في: السنن: كتاب الإيمان: باب ما جاء في علامة المنافق صـ ٥٩٨ رقم ٢٦٣٣ كلاهما من حديث عليّ بن عبد الأعلى، عن أبي النعمان، عن أبي وقاص عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وعد الرجل وهو ينوي أن يفي به، فلم يف به فلا جناح عليه» وعقب عليه أبو عيسى بقوله: «هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي: عليّ بن عبد الأعلى ثقة، وأبو النعمان مجهول، وأبو وقاص مجهول.

وقوله سبحانه:

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

وقوله سبحانه:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: ٢٦ ـ ٢٧).

وقوله سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ (الرعد: ٢٥).

ولقوله ﷺ:

«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أُتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1].

وقوله ﷺ:

«لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامّة»[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب علامات المنافق ص٩ رقم ٣٤، ومسلم في: الصحيح كتاب الإيمان: باب بيان خصال المنافق ص ٤٦ رقم ٥٨/١٠٦/ ٢١٠ كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب بدء الخلق ص ٥٣١ رقم ٣١٨٨، وكتاب الأدب: باب ما يُدْعَى الناس بآبائهم ص ١٠٧٦ رقم ٦١٧٧ ، ٦١٧٨، وكتاب الحيل: باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت ... ص ١٢٠١ رقم ٦٩٦٦، وكتاب الفتن: باب إذا قال عند قوم شيئًا، ثم خرج فقال بخلافه ص ١٢٢٥ رقم ٧١١١ من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعًا بنحوه، ومسلم في: الصحيح: كتاب الجهاد: باب تحريم الغدر ص ٧٦٩ ـ ٧٧٠ رقم ١٧٣٥ من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعا ورقم ١٧٣٦ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا ورقم ١٧٣٧ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا ورقم ١٧٣٨ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

وقوله ﷺ :

«من أعطى بيعة، ثم نكثها لقى الله، وليست معه يمينه[1].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على ذم الغدر، والتحذير منه وحسبنا في ذمّه والتحذير منه بعد الأدلة النقلية التي ذكرت آنفًا ما يترتب عليه من عواقب مدمرة، وآثار خطيرة ما سيظهر من سياق لحديث .

الجانب الثالث : آثار الغدر وعواقبه:

للغدر آثار سيئة وعواقب وخيمة

أ ـ على العاملين:

لعل من أبرز هذه الآثار، وتلك العواقب على العاملين:

١ ـ الغواية والضلال:

ذلك أن كل صور الغدر التي ذكرت آنفًا يمكن أن ترد إلى أصل واحد وهو عدم العمل بمنهج الله كتاباً وسنة ومن كان هذا شأنه فإن الله يغويه، ويضله، فلا يوفق إلى خير أبدًا؛ لأنه هو الذي اختار قرار الغواية، والضلال، وعدم التوفيق.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (البقرة: ٢٦ ـ ٢٧).

٢ ـ قسوة القلب:

ذلك أن من غدر بعهده مع الله، ومع الناس فقد حرم نفسه زاد الطريق الذي هو خير الزاد إذ يقول رب العزة سبحانه ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (البقرة:٩٧).

(١) الحديث أورده الحافظ ابن حجر في : فتح الباري ٢١٨/١٣ وعزاه إلى الطبراني قائلاً: «أخرجه الطبراني بسند جيد».

ومن حرم نفسه زاد الطريق فإن المرض يسرع إلى قلبه ويزيد المرض فيموت القلب، وحين يموت القلب تعتريه القسوة، فيكون كالحجارة أو أشد فلا يرحم أخًا ولا يوقر كبيرًا، ولا يتحنن على ولد.

ولقد كانت قسوة القلب سمة بارزة في أهل الكتاب لاسيما اليهود لكثرة نقضهم العهد والمواثيق.

قال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٣ ـ ١٤).

ولقد سرى هذا الداء إلينا نحن المسلمين حين غدرنا بعهدنا مع الله فلم نعمل بمنهاجه وإن عملنا فإنما نعمل بما تكاليفه سهلة ميسورة كالصلاة والصيام، والحج والعمرة، وقراءة القرآن، وباقي الأذكار وأهملنا الجهاد بأوسع ما تتضمنه كلمة الجهاد من اجتهاد النفس وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجًا، وإن عملنا في الجهاد فإنما نعمل في فضل أوقاتنا وبقتور وتراخ وعدم انضباط في حديث أو موعد، أو أمانة، أو خصومة وهلم جرا، فعاقبنا الله بقسوة القلب فكانت بلادة الحس، وموت العاطفة حسبنا إخواننا المجاهدين في كل مكان في الأرض لاسيما أرض النبوات وأرض الميعاد فلسطين وما يعاني أهلها في أنفهسم وذويهم لأكثر من ثمانين سنة، ويستصرخوننا ولا مجيب

لقد أسمعت إذا ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنـــادي

٣ ـ ضياع المروءة، وذهاب الهيبة، وتسليط الأعداء:

ولا يقف العقاب الإلهي عند هذا الحد، بل يكون معه ضياع المروءة وذهاب الهيبة وتسليط الأعداء، وما يتبع ذلك من السيطرة على الأوطان واستنزاف الخيرات والثروات، وتغيير هوية الأمة وثقافتها وقيمتها وأخلاقها وسوم أبنائها سوء العذاب.

قال تعالى:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣).

وقال تعالى:

﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس: ٢٣).

وقال تعالى:

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠).

قال محمد بن كعب القرظي رضي الله تعالى عنه:

«ثلاث خصال من كن فيه، كن عليه: البغي، والنكث، والمكر، ثم قرأ هذه الآيات الثلاث»[١].

وقال ابن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠).

قال:

«أن من نكث يعني: من نقض هذا العهد، فإنما يجني على نفسه، وإياها يُهلك فنكثه عليه لا له»[٢].

---

(١) انظر: ذم البغي لابن أبي الدنيا صـ ٨٨ .

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١٥ / ٩٦ .

وقال ﷺ :

«. . . ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم . . .»[1].

وقال ﷺ :

«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قيل: يارسول الله: فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا، وكراهيتكم الموت»[2].

٤ ـ تحمل الجزاء المترتب على الغدر:

ذلك أن الغدر يؤدى إلى خسائر بدنية أو نفسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية وقد تكون هذه جميعًا، ولابد من ضمان التلف في جزاء يتولاه ولي الأمر أو نائبه، أو تتولاه الرعية حين يغدر ولي الأمر فيضيع من هم في رعايته وحديث أنس بن مالك ﷺ يشهد بذلك، إذ فيه : أن رهطًا من عكل ثمانية قدموا على النبي ﷺ فأجتووا المدينة[3]. فقالوا يارسول الله: أبْغنا رسلاً، فقال:

«ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود فانطلقوا فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحُّوا، وسمنوا وقتلوا الراعي، واستاقوا الذود[4] وكفروا بعد إسلامهم فأتى

(١) هذا جزء حديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الفتن: باب العقوبات صـ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ رقم ٤٠١٩ من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعًا وأورده الشهاب البوصيري في: مصباح الزجاجة وعقب عليه بقوله: «هذا حديث صالح للعمل به» وأورده الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٤٠ وقال عنه: «صحيح» ووافقه الذهبي في التخليص وأورده المنذري في: الترغيب والترهيب ٢/ ٢٥٦ ـ ٥٧٠ وذكره الشيخ محمد ناصر الألباني في: صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٣٢١ رقم ٣٠٧٢ وقال عنه : «صحيح».

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن: كتاب الملاحم: باب في تداعي الأمم على الإسلام صـ ٢٢٧٦، وأحمد في: المسند ٥/ ٢٧٨ (ص ١٦٥٦ رقم ٢٢٧٦٠ ط بيت الأفكار الدولية) كلاهما من حديث ثوبان ﷺ مرفوعًا به وبنحوه وأورده الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ٢/ ١٣٥٩ رقم ٣٢٥٧ ، وقال عنه: «صحيح».

(٣) اجتووا المدينة: أصابهم الجوى، وهو المرض، وداء الجوف، فكرهوا المقام فيها، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ١٨٩ .

(٤) الذود: من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، انظر: الصحاح في اللغة والعلوم صـ ٣٥١ .

الصريخ النبي ﷺ فبعث الطلب فما ترجل النهار حتى أتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرة[1] يستسقون فما يسقون حتى ماتوا»[2].

قال أبو قلابة: «قتلوا، وسرقوا، وحاربوا الله، ورسوله ﷺ وعاثوا في الأرض فسادًا»[3].

وكأن أبا قلابة يشير إلى آية حد الحرابة:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٢ ـ ٣٤).

٥ ـ براءة النبي ﷺ ـ من أهل الغدر:

ذلك أن النبي ﷺ جاء بمنهاج يدعو إلى الوفاء مع الخالق، والمخلوق، ومع العدو، والصديق بل حتى مع الدواب والجمادات ثم طبق ذلك عمليا على نفسه حين استبقى عليًا مكانة في فراشه ليلة الهجرة ليرد الودائع إلى أصحابها، ووفى بعهده مع اليهود لولا أنهم غدروا كما وفى مع المشركين في مكة والطائف وغيرهما لولا غدرهم وخيانتهم.

---

(١) الحرة: الأرض ذات الحجارة السود، ناحية بالمدينة ١/ ٢١٥ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري : في الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب إذا حرَّق المشرك المسلم، هل يحرَّق صـ ٤٩٨ رقم ٣٠١٨، وكتاب الوضوء: باب أبوال الإبل والدواب والغنم، ومرابضها صـ ٢٣٣، ومسلم في: الصحيح: كتاب القسامة والمحاربين: باب حكم المحاربين، والمرتدين صـ ٧٣٨ ـ ٧٤٠ رقم: ١٦٧ كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا واللفظ للبخاري .

(٢) أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب إذا حرَّق المشرك المسلم هل يحرق صـ ٤٩٨ رقم ٣٠١٨ مقطوعا، ومعلقا عن أبي قلابة.

فإذا ادعى واحد أنه من أتباعه وغدر في عهده، فلا أقل من أن يتبرأ منه النبي ﷺ لئلا يكون انتسابه إليه سببًا في تشويه صورته بين الناس، ويوم القيامة يكون خصيمًا له يقول ﷺ :

«من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها[1] ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه»[2].

وحديث صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن آبائهم دنية[3] عن رسول الله ﷺ : ـ

«ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[4].

٦ ـ حلول اللعنة على الغادر من الله، والملائكة، والناس أجمعين: ذلك أن الله يغار حين يرى العبد أكل نعمته، ثم غدر فاستخدمها في معصيته وحربه وتمثل هذه الغيرة في حلول اللعنة عليه، ومعه سبحانه الملائكة، والناس أجمعون برهم، وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم.

---

(١) لا يتحاش من مؤمنها: لا يفزع لذلك، ولا يكترث، ولا ينفر منه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٧٠ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ... ص ٨٣٠ رقم ١٨٤٨ / ٤٧٦ / ٥٣ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) دنية: قريب، لاصق النسب. انظر: المعجم الوسيط ١ / ٢٩٩ .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الخراج: باب في تعشير أهل الذمة ... ص٤٤٧ رقم ٣٠٥٢ من حديث صفوان بن سليم« من حديث عِدَّة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم دِنْية مرفوعًا بهذا اللفظ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥/ ١٨٥ رقم ٢٦٢٦، وعقب بقوله «صحيح».

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ (الرعد: ٢٥).

وقال ﷺ:

«المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه حرف، ولا عدل، وقال: ذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف، ولا عدل ومن تولى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ، ولا عدل»[1].

٧ ـ الانتظام في سلك المنافقين:

ذلك أن الغادر أظهر شيئًا في الوقت الذي أبطن فيه خلافه، ومثل هذا الصنف من الناس يجب توقيه، والحذر منه لأنه لم يعد محل ثقة ولا أمانة إذ يظهر الموافقة على العهود، والالتزام ، ثم يخفي النقض والغدر يقول النبي ﷺ:

«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أئتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا اعهد غدر، وإذا خاصم فجر»[2].

ويقول ﷺ:

«من علامات المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب فضائل المدينة: باب حرم المدينة صـ ٣٠١ رقم ١٨٧٠ ومسلم في: الصحيح: كتاب الحج: باب فضل المدينة . . . ص ٥٧٥ رقم ١٣٧٠ كلاهما من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا واللفظ للبخاري. .

(٢) الحديث سبق تخريجه منذ قليل.

خان»[1].

٨ ـ الفضيحة على رءوس الأشهاد:

ذلك أن الله لا يوقف عقابه للغادرين على الدنيا بل يضم إلى ذلك عقاب الآخرة، وأوله: الفضيحة على رءوس الأشهاد وما أعظمه وما أشده من عقاب.

يقول ﷺ:

«من أمَّن رجلاً على نفسه، فقتله أعطى لواء الغدر يوم القيامة»[2].

ويقول ﷺ:

«لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة»[3].

٩ ـ لقاء الله أبتر اليمين:

ذلك أنه أعطى بيعة بيمينه على الوفاء بما بايع عليه، وعدم النقض وأقل عقاب يعاقبه به رب العزة: أنه يبعثه من قبره ليلقى ربه وقد حرمه يمينه تلك التي بايعت وخان صاحبها البيعة وغدر بعهده.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب علامات المنافق ص٩ رقم ٣٣، وكتاب الشهادات: باب منه صـ ٤٣٧ رقم ٢٦٨٢ وكتاب الوصايا: باب قول الله عز وجل: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ ص٥٤٥ رقم ٢٧٤٩، وكتاب الأدب: باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ص ١٠٦٣ رقم ٦٠٩٥ ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب خصال المنافق صـ ٤٦ ـ ٤٧ رقم ٢١١ / ١٠٧ ـ ١١٠ / ٥٩ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا واللفظ لمسلم.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الديات: باب من أمن رجلا على دمه فقتله صـ ٣٨٧ رقم ٢٦٨٨ من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي بلفظ: «من أمن رجلاً على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة» وأحمد في: المسند ٥ / ٢٢٤) (صـ ١٦٢٠ رقم ٢٢٢٩٤) من حديث عمرو بن الحمق الخزاعي مرفوعًا بهذا اللفظ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٨٥، وعقب عليه بقوله: «رواه أحمد، والطبراني ورجاله ثقات».

(٣) الحديث سبق تخريجه منذ قليل.

يقول النبي ﷺ:

«من أعطى بيعة ثم نكثها لقى الله، وليست معه يمينه»[1].

١٠ ـ المساءلة غدا مع الإهانة في الكلام، ومع الحرمان من رؤية الله والجنة.

لا يقف أمر عقاب المولى للغادر عند حد الفضيحة على رءوس الأشهاد وعند حد لقائه سبحانه له، وهو مبتور اليمين، بل يتعدى ذلك إلى المساءلة والإهانة في الكلام، والحرمان من رؤية رب العالمين، والجنة، يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧) ويقول: **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾** (الإسراء: ٣٤).

ويقول النبي ﷺ:

«ألا من قتل نفسًا معاهدًا، له ذمة الله، وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»[2].

ويقول ﷺ:

«من صلى الصبح فله ذمة الله، فلاتخفروا الله ذمته، فإنه من أخفر ذمته طلبه الله، حتى يكبَّه على وجهه»[3].

---

(١) الحديث سبق تخريجه منذ قليل.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب الديات: باب ما جاء فيمن يقتل نفسًا معاهدًا صـ ٣٤٠ رقم ١٤٠٣ من حديث أبي هرير ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ وعقب عليه بقوله: «وفي الباب عن أبي بكرة، وحديث أبي هرية حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ».

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢/ ١١١ رقم ٥٨٩٨ وقال عنه الشيخ أحمد شاكر ٨/ ١٤٥: «إسناده صحيح» ومسلم في: الصحيح: كتاب المساجد: باب فضل صلاة العشاء، والصبح في جماعة صـ ٢٦٥ رقم ٢٦١، ٢٦٢ من حديث جندب بن عبد الله القسري ﷺ مرفوعًا بنحوه.

ب ـ على العمل الإسلامي:

وكما أن للغدر آثارًا سيئة، وعواقب وخيمة على العاملين فلها كذلك آثار سيئة وعواقب وخيمة على العمل الإسلامي نذكر منها:

١ ـ القطيعة والفرقة:

ذلك أنه إذا شاع الغدر بين أبناء المجتمع سحب كل منهم ثقته بالآخر ووقعت الخصومات وما يتبعها من القطيعة والفرقة الأمر الذي يؤدي إلى طمع الأعداء، وسعيهم للسيطرة على بلاد المسلمين وانتهاك حرماتهم من العقيدة والدم، والعقل والعرض، والمال.

٢ ـ طول الطريق وكثرة التكاليف:

ذلك أنه إذا سيطر الأعداء، وفرضوا أنفسهم على المسلمين وديارهم: عملوا على التمكين لهم بطريق أو بأخرى.

ويوم يفيق المسلمون، ويعملون على التحرر من سيطرة الأعداء فإنهم يحتاجون إلى زمن طويل وتكاليف ضخمة في النفس، وفي المال يكون الأعداء خلال ذلك قد استنزفوا كل شيء فيخرجون وما تركوا وراءهم شيئًا يذكر فوق النيل من ثقافة الأمة، وحضارتها.

الجانب الرابع: أسباب الوقوع في الغدر:

للغدر أسباب كثيرة، وبواعث عدة توقع فيه نذكر منها:

١ ـ عدم قيام الأسرة بواجبها التربوي نحو أبنائها لا سيما الانضباط:

ذلك أن المرء خلق يوم خلق، ولديه استعداد لفعل الخير ولفعل الشر لقوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧ ـ ٨).

وليس عليه إلا أن يُرَبى على المجاهدة وبذل أقصى ما لديه من طاقة ليصطبغ بصبغة الخير، وصناعة البر والمعروف.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس:٩).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩).

ويقع عبء التربية الأكبر للمرء في أيامه الأولى من حياته على الأم، إذ لو كانت حازمة مع صغيرها فلم ترضعه، ولم تقم بتبديل ثيابه كلما بكى، وإنما وضعته تحت منهاج ثابت لا يتغير أبداً إلا في ظروف طارئة إنها لو صنعت ذلك لنشأ صغيراً على الانضباط في كل شيء ومن ذلك الحفاظ على العهود، والمواثيق، وعدم الإقدام على نقضها مهما كانت الأسباب أما إذا أهملته حتى شب فإنه ينشأ على الفوضى، والتهاون بكل شيء ومن ذلك العهود والمواثيق ومهما درب بعد ذلك علي الانضباط فإنه يكون منطويًا على نوع من الخلل فكيف لو نشأ في بيت شأن الكبار فيه الفوضى، وعدم الانضباط فإنه يقتدي بهم لا محالة إلا أن تتداركه رحمة الله عز وجل ويقيض له من يعينه على نفسه.

٢ ـ صحبة من شأنهم عدم الانضباط لا سيما مع العهود والمواثيق:

قد يجد المرء نفسه لسبب أو لآخر في وسط من القرناء شأنهم عدم الانضباط لاسيما مع العهود، والمواثيق، ويطول بقاؤه معهم، ويتشرب أخلاقهم ويصير الغدر دأبه، وديدنه.

وهكذا يمكن أن يصنع الأصحاب من المرء غادراً ناقضًا لعهوده ومواثيقه.

٣ ـ عدم السؤال عن العهود، والمواثيق، وعدم المتابعة:

ذلك أن المرء كثيراً ما يعتريه الضعف البشري، فيغدر بعهوده، ومواثيقه وربما كان السبب في ذلك عدم السؤال وعدم المتابعة لذا كان من هديه ﷺ سؤال كل ذي مسئولية عن مسئوليته ومتابعة التزامه بهذه المسئولية بل على المرء أن يسأل نفسه ويحاسبها ويعمل عى تدارك التقصير عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أهدي للنبي ﷺ عنب من الطائف، فدعاني فقال:

«خذ هذا العنقود فأبلغه أمك» فأكلته قبل أن أبلغه إياها فلما كان بعد ليال، قال لي: «ما فعل العنقود؟ هل أبلغته أمك؟» قلت: لا، قال: «فسمَّاني غُدَرَ»[1].

٤ ـ إقبال الدنيا:

ذلك أن المرء كثيراً ما يحافظ على عهوده، عندما يكون عيشة كفافًا، فإذا ما أقبلت الدنيا ببريقها، وزخارفها فإنه يتهاون بعهوده، ووعوده، وربما يغدر فيها، ناسيًا أو متناسيًا إن إقبال الدنيا لا يدوم، وأنها إذا أقبلت أدبرت، وإذا كست أوكست، وإذا حلت أوحلت.

٥ ـ تحميل المرء نفسه من المسئوليات فوق ما تطيق:

قد يحمل المرء من المسئوليات فوق ما يطيق، كأنه يريد أن يعمل كل شيء، والذي يعمل كلَّ شيء لا يعمل شيئًا، وتكون العاقبة عدم الوفاء بالعهود، والمواثيق، بل ربما الغدر كذريعة لإعفاء النفس من المسئوليات والتبعات.

٦ـ عدم التدرج في حمل المسئوليات:

ذلك أن الإنسان يحتاج إلى التدرج في حمل المسئوليات حتى يستخرج ما لديه من طاقات، وإمكانيات شيئًا فشيئًا، وإذا حدث أن حَمَّل المسئوليات جملة واحدة دون تدرج، فإنه لا يستطيع الوفاء بعهوده ومواثيقه، بل ربَّما يغدر ليكون ذريعة لإعفاء نفسه من المسئوليات.

٧ـ موالاة الكافرين:

ذلك أن الكافرين لا يريدون بنا نحن المسلمين خيراً.

إذ يقول رب العزة سبحانه:

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (الممتحنة: ٢).

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الأطعمة: باب أكل الثمار صـ ٤٨٧ رقم ٣٣٦٨ من حديث النعمان بن بشير مرفوعًا بهذا اللفظ وأورده البوصيري في: مصباح الزجاجة.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾(الكهف: ٢٠).

موالاة هؤلاء بمعنى: محبتهتم، والإصغاء لهم، وطاعتهم فيما يشيرون وما يفرضون يمكن أن تؤدي إلى الغدر، وعدم احترام العهود، والمواثيق والواقع المعاصر خير دليل: إذ يشير هؤلاء على نفر من ولاة أمور المسلمين بنقد عقد البيعة مع شعوبهم، بيحث يصيرون سيفا مصلتًا عليهم والمفروض أن يكونوا اليد الحانية عليهم الرحيمة بهم، والمبرر أن هذه الشعوب أو نفرًا منها يتآمر عليهم لإزاحتهم عن كرسي الحكم، والجلوس مكانهم.

٨ ـ عدم قيام المجتمع بواجبه نحو المعروفين بالغدر:

ذلك أن للمجتمع دورًا كبيرًا في إشاعة الفضيلة والقضاء على الرذيلة أو على أقل تقدير محاصرتها إذا قام بواجبه مع عزيمة صادقة، وإخلاص، واتباع للسنة، وحكمة، وموعظة حسنة وجدال بالتي هي أحسن أما إذا قعد ولم يقم بواجبه فإن الرذيلة ومنها الغدر ونقض العهود والمواثيق تشيع وتحاصر الفضيلة بل ربما تتلاشي وتمحى من المجتمع.

٩ ـ عدم قيام ولي الأمر بواجبه نحو المعروفين بالغدر:

لقد ذكرنا في أكثر من آفة دور ولي الأمر في إصلاح الأمة، وملاحقة أهل الفسق، والفجور، والعصيان.

وعليه فإذا قصر، ولم يقم بواجبه نحو المعروفين بالغدر بعهودهم ومواثيقهم فإن الخطر يعظم، والشر يستفحل، ويصبح الغدر دأبًا، وديدنًا للمجتمع.

١٠ ـ عدم استحضار عواقب الغدر:

إذ على المرء أن يديم النظر في عواقب عمله فإن كانت خيرًا لزم هذا العمل وإن كانت سوءًا أقلع عنه، ونأى بجانبه وعليه فإذا نسي المرء عواقب الغدر سواء على نفسه أو على العمل الإسلامي وسواء أكانت دنيوية، أو دينية: إذا نسى المرء ذلك، ولم يستحضره على الدوام كان التمادي في الغدر، وكان الخسران والبوار.

الجانب الخامس: علاج الغدر والوقاية منه:

إذ قد عرفنا ماهية الغدر، وصوره، وحكمه، وآثاره وأسبابه، فإن العلاج بل الوقاية يكمن في اتباع هذه الخطوات:

١ ـ أن تقوم الأسرة بواجبها في اجتناب الغدر:

بأن يتحلى أفرادها لاسيما الكبار منه بالوفاء بالعهود والمواثيق ويعتذروا عما بدر منهم من غدر في حق الله، وفي حق الرسول وفي حق الآدميين والملائكة، وإخوانهم من الجن، وأن يعملوا في الوقت نفسه لاسيما الأم على تقوية خلق الانضباط عند الأولاد منذ نعومة أظفارهم وأن يقبحوا لهم الغدر، ويحسنوا الوفاء، وأن يواظبوا على ذلك فإن هذا الجهد لو صحَّ من الأسرة فإن له دورًا كبيراً في القضاء على الغدر، وتعليم الوفاء واحترامه، والحرص عليه مهما تكن التضحيات.

٢ ـ أن ينقطع المرء عن أصدقاء السوء، وأن يلازم أهل التقوى والصلاح:

ذلك أن المرء إذا انقطع عن أصدقاء السوء، ولزم أهل التقوى والصلاح فإن ذلك يساعده على التخلي عن الغدر، ويعينه على التحلي بالوفاء بعهوده، ومواثيقه، لاسيما إذا وعي هؤلاء الأصدقاء دورهم في الإصلاح، وأنجح السبل، وأفضل الوسائل التي عليهم أن يستخدموها في آداء هذا الدور ثم حققوا ذلك على أرض الواقع، وطبقوا منهاج المحاسبة الدقيق لتقويم عملهم أولاً بأول.

٣ ـ أن يقوم المرء بمجاهدة نفسه للتخلص من آفة الغدر، والتحلي بفضيلة الوفاء:

ذلك أن المجاهدة للنفس تكون سببًا في التخلص من آفة «الغدر» والتحلي بالوفاء، ولا شك أن المجاهدة لا تنشأ من فراغ وإنما لابد لها من زاد وأعظم الزاد مراقبة الله، واستحضار المساءلة غدًا كل شيء لاسيما العهود والمواثيق.

لقوله سبحانه:

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤)

٤ ـ أن يضع المرء الدنيا في موضعها الصحيح:

ذلك أن على المرء أن يضع الدنيا في موضعها الصحيح، بأن ينظر إليها على أنها وسيلة لا غاية، وأنه لاثبات لها، وأن متاعها مهما عظم فهو قليل وحقير، وأنه سيسأل عن كل شيء فيها من النقير والفتيل، والقطمير إذا صنع المرء ذلك فإنه يستوى عنده إقبالها وإدبارها، والأحسن له الوفاء بعهوده، ومواثيقه لا النكث، والغدر.

٥ ـ أن يحمل المرء من المسئوليات ما يتناسب مع طاقاته وإمكاناته:

ذلك أن على المرء أن يكون بصيراً بطاقاته، وإمكاناته، والظروف لمحيطة به، ولا يحمل نفسه من المسئوليات والتبعات فوق ما تطيق كي يستطيع مواصلة المسيرة إلى نهايتا، من الوفاء، وعدم الغدر أو النكث.

٦ ـ أن يتدرج المرء مع نفسه في حمل المسئوليات:

إذا أراد المرء أن يحمل تبعات التكاليف التي كلف بها من ربه وأن يفي بها كاملة دون غدر ونكث فليتدرج معها على نحو ما كان يصنع النبي ﷺ مع أصحابه.

إذ كان يبايع على ترك المعصية أولاً لأن التخلية مقدمة على التحلية فيقول:

«بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»[1].

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب منه صـ ٦ رقم ١٨ ، وكتاب مناقب الأنصار: باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة صـ ٦٥٤ رقم ٣٨٩٢ ، ٣٨٩٣، وكتاب المغازي: باب منه صـ ٦٧٥ رقم ٣٩٩٩ وكتاب التفسير: سورة الممتحنة: باب (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) صـ ٦٨٦ رقم ٤٨٩٤ وكتاب الحدود: باب الحدود كفارة صـ ١١٦٩ رقم ٦٧٨٤ وباب توبة السارق صـ ١١٧١ ـ ١١٧٢ رقم ٦٨٠١ وكتاب الديات: باب (ومن أحياها) صـ ١١٨٤ رقم ٦٨٧٣، وكتاب الفتن : باب قول النبي ﷺ : «سترون بعدي أموراً تنكرونها» صـ ١٢١٧ رقم ٧٠٥٥ وكتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس صـ ١٢٤٠ رقم ٧١٩٩ وباب بيعة النساء صـ ١٢٤٢ رقم ٧٢١٣، وكتاب التوحيد: باب في المشيئة والإرادة صـ ١٢٨٧ رقم ٧٤٦٨ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ وبنحوه.

ثم يعود ويبايع على فعل الطاعات والدعوة إلى الله.

فيقول جرير رضي الله عنه:

«بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[1].

ثم يبايع على الإيواء، والنصرة كما كان ليلة العقبة، ثم يبايع على الجهاد، والموت في سبيل الله كما كان في الحديبية وهكذا إذا أردنا أن يفي كل ذي عهد بعهده، وألا يغدر، أو ينكث فليكن التدرج شيئًا فشيئًا حتى تكون البراءة، والوقاية.

٧ ـ التحرر من موالاة الكافرين:

ذلك أن التحرر من موالاة الكافرين فلا محبة، ولا طاعة وإن كان لهم حق التعامل اليومي أو الحياتي ما لم يكونوا محاربين، إن هذا التحرر يخلص النفس من الضغط، والإكراه من أجل حملها على الغدر أو النكث، ويفسح لها المجال أن تتحلى بالحفاظ على العهود، والمواثيق، والوفاء وإن لحقها من التبعات ما لحقها.

٨ ـ قيام المجتمع بواجبه نحو المعروفين بالغدر:

بأن يبدأ المجتمع بالنصح، والإرضاء، فإذا لم ينجح فلتكن الدعوة بالخطاب المباشر وإذا لم يُجْدِ ذلك فليكن إنكار المنكر بكل الأساليب والوسائل الممكنة، وأدنى ذلك الإنكار القلبي المتمثل في الحصار والمقاطعة وتعطيل مصالح هذا الغادر، بحيث يحمله ذلك حملاً على التحرر من الغدر، والنكث في عهوده، ومواثيقه، والحرص على الوفاء، مهما تكن التبعات، والتضحيات.

٩ ـ أن يقوم ولي الأمر بواجبه نحو المعروفين بالغدر:

أي يبدأ وليُّ الأمر في الأمر بترك الغدر، والنكث في العهود، والمواثيق ثم يبين

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصحية صـ٤٥ رقم ١٩٩ / ٩٧ ٥٦/ من حديث جرير رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

لهم عواقب ذلك علي العـاملين وعلى العمل الإسلامي وكـذلك عواقب هذا في الآخرة، فـإذا لم ينفع ذلك فلتكن القـوة المتناسـبة مع حـجم الآثار المترتبـة على الغدر.

ولن يعدم ولي الأمر طريقًا يحمل أهل الغدر والنكث أن يقلعوا عن هذه الآفة، وأن يتحلوا بما يقابلها من الوفاء.

١٠ ـ أن يستحضر المبتلى بالغدر الآثار المترتبة على هذا الابتلاء:

قدمنا أن للغدر آثارًا سيئة وعواقب خطيرة على العاملين والعمل الإسلامي، بل عواقب أخروية أشد وأنكى ويوم يستحضـر المرء هذه العواقب باستمرار فإنه يتولد لديه إحـساس قـوي، وشعور أكـيد بالـندم على ما بدر منه من الغـدر، والنكث ويعمل جـاهدًا على التخلص من ذلك والتحلي بالوفـاء جبرًا للخلل الذي اقتـرفه فيمـا مضى من حياته، وهكذا يمكن أن يؤدى اسـتحضار الآثار والعـواقب المترتبة على الغدر إلى التخلص منه بل الوقاية أن يقتحم النفس مرة أخرى.

***

الآفة الثانية والأربعون
«عقوق الوالدين»

الآفة الثانية والأربعون
«عقوق الوالدين»

والآفة الثانية والأربعون ذات الأثر الخطير، والعواقب الوخيمة على العاملين وعلى العمل الإسلامي إنما هي: «عقوق الوالدين».

وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلي بها ويتجنبها من سلمه الله عز وجل منها فإننا سنعرض لها من هذه الجوانب:

الجانب الأول: معنى عقوق الوالدين لغة واصطلاحًا:

لغة: «عقوق الوالدين» مركب إضافي مؤلف من: «عقوق» و«الوالدين» ولابد من تعريف كل منها وحده قبل التركيب، ثم تعريف المركب بعد، أما العقوق لغة فله معان: منها:

١ ـ الشق، والقطع، تقول عقَّ رحمه: قطعها، وعقَّ عقًّا: انشق وعق ثوبه: شقه.

٢ ـ الاستحلاب تقول: عقت الريح السحاب: استلحبته كأنها شقته[١].

ولا تعارض إذ هو: استحلاب الشيء وإخراج خيره بعد شقه وقطعه وأما الوالدان فهما الأب، والأم، وإن علوا[٢].

اصطلاحًا: ذكر العلماء لعقوق الوالدين عدة تعريفات منها:

١ ـ تعريفات الإمام القرطبي المحدِّث إذ يقول:

«وعقوق الوالدين: مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن برهما:

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ٦١٦/٢. (٢) انظر: المعجم الوسيط ٥٦/٢.

موافقتهما عى أغراضهما الجائزة لهما وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباحات في أصله، وكذلك إذا كان من قبيل المندوبات»[1].

٢ ـ تعريف ابن الصلاح، إذ يقول:

«العقوق المحرم: كل فعل يتأذى به الوالد، أو نحوه تأذيًا ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة»[2].

٣ ـ تعريف ابن حجر العسقلان، إذ يقول:

«والعقوق ـ بضم العين المهملة مشتق من العق وهو القطع والمراد به صدود ما يتأذى به الوالد من ولده من قول، أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد»[3].

وكل هذه التعريفات تتفق في المعنى وإن اختلفت في اللفظ وعليه فلو اقتصر المرء على أي منها لكان دالاً على المراد.

٤ ـ تعريف ابن حجر لمكي، إذ يقول:

«العقوق أن يحصل لهما أو لأحدهما إيذاء، ليس بالهين عرفًا»[4]

الجانب الثاني: أهم مظاهر عقوق الوالدين مع بيان حكمه، وأدلة ذلك:

لعقوق الوالدين مظاهر تدل عليه، نذكر منها:

١ ـ عدم إبرار قسمهما أو قسم أحدهما فيما ليس بمعصية مع قدرته على إيجاد هذا القسم.

٢ ـ عدم طاعة أمرهما أو أمر أحدهما فيما ليس بمعصية مع القدرة على الطاعة.

---

(١) انظر: المفهم ٦/ ٥٢٠.
(٢) انظر: دليل الفالحين ٢/ ١٧٨.
(٣) انظر: فتح الباري: ١٠/ ٤٠٦.
(٤) انظر: الزواجر ص ٤٥٩.

٣ ـ عدم إجابة سؤالهما أو سؤال أحدهما فيما ليس بمعصية مع القدرة على الإجابة.

٤ ـ خيانتهما، أو خيانة أحدهما، وقد ائتمناه.

٥ ـ الجهاد الكفائي دون إذنهما أو إذن الحيِّ منهما.

٦ ـ السفر سفر يشق عليهما أو على الحيِّ منهما وليس بواجب.

٧ ـ الغياب الطويل عنهما أو عن الحيِّ منهما، وليس في مصلحة من علم نافع أو كسب حلال أو نحو ذلك.

٨ ـ سبهما، أو سب أحدهما بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر.

٩ ـ العبوس في وجههما، أو في وجه أحدهما مع بذل الطاعة ولزوم الصمت.

١٠ ـ استثقالهما أو استثقال أمرهما مع التأفف والضجر.

١١ ـ الامتناع من الإنفاق عليهما ولو إلى حد الكفاف.

١٢ ـ عدم احترامهما وتوقيرهما بأن يمشي أمام أبيه وأن يقعد قبله، وأن يدعوه باسمه، وأن يحدَّ الطرف إليه قال عروة بن الزبير: «ما برَّ والده من شدَّ الطرف إليه»[1].

١٣ ـ عدم الدعاء لهما أحياءً، أو أمواتًا وعدم الاستغفار لهما.

١٤ ـ عدم صلة أرحامهما وأصحابهما.

١٥ ـ عدم قضاء ديونهما المادية، والمعنوية إلى غير ذلك من هذه المظاهر، وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تتضمن هذه المظاهر ومنها:

قوله سبحانه:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ

(١) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ١/٤١٦، فقرة: (٢).

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤).

وقوله سبحانه:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨).

وقوله سبحانه:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٤ ـ ١٥).

وقوله ﷺ لرجل جاءه ويستأذنه في الجهاد.

«لك أبوان؟» قال: نعم: قال: «ففيهما فجاهد»[1].

وقوله ﷺ لرجل أقبل فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله:

«فهل من والديك أحد حيٌّ؟» قال: نعم، بل: كلاهما. قال: «فتبتغي الأجر من الله؟» قال: نعم: قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين صـ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٦ رقم ٥٩٧٢، وكتاب الجهاد والسير: باب الجهاد بإذن الأبوين صـ ٤٩٦ رقم ٣٠٠٤، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة، والأدب: باب بر الوالدين، وأيهما أحق به صـ ١١١٧ رقم ٦٥٠٤ ، ٦٥٠٥ كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعًا به وبنحوه.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة والأدب: باب بر الوالدين وأيهما أحق به صـ ١١١٨ رقم ٦٥٠٧ من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ بهذا اللفظ.

وأتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: إنـي جئت أريد الجهاد معك أبتـغي وجه الله والـدار الآخرة ولقـد أتيت وإن والدي ليـبكيـان، قال: «فـارجع إليهما، فأضحكهما، كما أبكيتهما»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يارسول الله، وكـيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«إن أبر البر أن يصل الرجل ودَّ أبيه»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجـلاً من الأعراب ، لقيه بطريق مكة فسلم عليـه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبـه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار - راوي الحـديث عن ابن عمـر - فقلنا له: أصلحك الله، إنهـم الأعراب، وهم يرضون باليسير، فقال عـبد الله بن عمر إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن أبرَّ البرّ صلة الرجل أهل ودِّ أبيه»(٤).

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الجهاد: باب الرجل يغزو، وله أبوان صـ ٤٠٢ رقم ٢٧٨٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًـا بهذا اللفظ، وأورده الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في: صحيح ابن ماجه رقم ٢٢٤٢ .

(٢) الحديث أخـرجه البـخاري في: الصحـيح: كتـاب الأدب: باب لا يسب الرجل والديه صـ ١٠٤٦ رقم ٥٩٧٣، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب الكبائر وأكبرها صـ ٥٤ رقم ٩٠ / ١٤٦ / ٢٦٣ كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، واللفظ للبخاري. .

(٣) الحديث أخـرجه مسلم في: الصـحيح: كتـاب البر والصلة، والأدب: باب فضل صلة أصـدقاء الأب، والأم، ونحوهما صـ ١١٢٠ رقم ٦٥١٤/١٢ من حـديث ابن عمر مرفوعًا بهـذا اللفظ. وأحمد في: المسند ٢/ ٩٧ .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر، والصلـة ، والأدب باب فضل أصدقاء الأب، والأم، وحوهمـا صـ ١١٢٠ رقم ١١٠ ـ ١٣، والترمـذي في: السنن: كتاب البـر والصلة: باب ما جـاء في إكرام صديق الوالد صـ ٤٤٤ ـ ٤٤٥ رقم ١٩٠٣ كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

وعن أبي أسيد: مالك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذا جاءه رجل من بني سلمة فقال: يارسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[1] هذا والشرع الحنيف ينظر إلى عقوق الوالدين، على أنه من أكبر الكبائر بعد الكفر، والشرك بالله.

إذ جاء عنه ﷺ فيما رواه عنه أبو بكرة أنه قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يارسول الله: قال: ثلاثًا: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان مكئًا فجلس فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور. ألا وقول الزور، وشهادة الزور».

فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت[2].

وقال فيما رواه عنه المغيرة بن شعبة ﷺ:

«إن الله عز وجل حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[3].

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في برّ الوالدين صـ ٧٢٢ ـ ٧٢٣ رقم ٥١٤٢ من حديث أبي أسيد مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الشهادات: باب ما قيل في شهادة الزور صـ ٤٣٠ رقم ٢٦٥٤ وكتاب الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر صـ ١٠٤٦ ـ ١٠٤٧ رقم ٥٩٧٦ كلاهما من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا به ورقم ٥٩٧٧ من حديث أنس بن مالك بنحوه، وكتاب الاستئذان: باب من اتكأ بين يدي أصحابه صـ ١٠٩٢ رقم ٦٥٧٣ من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا به وكتاب استتابة المرتدين...: باب إثم من أشرك بالله صـ ١١٩٢ رقم ٦٩١٩ من حديث أبي بكرة، ورقم ٦٩٢٠ من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ ومسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب الكبائر وأكبرها صـ٥٣ رقم ١٤٣/٧٨ / ٢٥٩ من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا به، والترمذي في: السنن: كتاب الشهادات: باب ما جاء في شهادة الزور صـ ٥٢٧ رقم ٢٣٠١ من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا به.

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر صـ ١٠٤٦ رقم ٥٦٧٥، ومسلم في: الصحيح: كتاب الأقضية: باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة صـ ٧٦١ رقم ٥٩٣ / ١٢ / ٤٤٨٣ كلاهما من حديث المغيرة بن المغيرة ﷺ مرفوعا به.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»[1]

وسيأتي في ذكر الآثار المترتبة على عقوق الوالدين، ما يؤكد: أن هذا العقوق من أكبر الكبائر.

الجانب الثالث: آثار عقوق الوالدين، وعواقبه:

لعقوق الوالدين آثار سيئة، وعواقب خطيرة على العاملين وعلى العمل الإسلامي، ودونك هذه الآثار:

أ ـ على العاملين:

من آثار عقوق الوالدين على العاملين:

١ ـ الحرمان من التجارب والخبرات:

ذلك أن النجاح في الحياة لا يقتصر على مجرد التحصيل العلمي، وإنما لابد من الخبرات والتجارب، والخبرات والتجارب يكتسبها المرء تارة بممارسته هو وتارة بممارسة الآخرين، والوالدان بالقطع أصحاب خبرات، وتجارب، وقد جرت العادة بمنح الخبرات والتجارب لمن يخفض الجناح، ويلين الجانب فإذا عق الولد أبويه وأساء معاملتهما ضنًّا عليه بخبراتهما وتجاربهما وحينئذ تكون حياته سلسلة من الفشل، والانتكاسات وكفى بذلك عقابًا.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأيمان والنذور: باب اليمين الغموس صـ ١١٥٢ رقم ٦٦٧٥ وكتاب الديات: باب قول الله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا﴾ صـ ١١٨٣ ـ ١١٨٤ رقم ٦٨٧٠، وكتاب استتابة المرتدين ...: باب إثم من أشرك بالله صـ ١١٩٢ رقم ٦٩٢٠ من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ، وبنحوه.

٢ ـ الحرمان من الدعوات:

ذلك أن المرء كثيراً ما تعتريه عقبات، ومعوقات ومهما بذل من جهود لتخطيها فإنه لا يفلح، ويبقى الدعاء السهم النافذ والورقة الأخيرة وخير الدعاء: دعاء كبار السن، والضعفاء، وكلما تقدم السن بالوالدين كانا إلى الضعف أقرب، وكانت الإجابة أسرع ولكن كيف يدعوالولدان، والابن عاق، متمرد كأن العقوق يكون سببا في حرمان الولد من دعوات أبويه، فتتعثر حياته، وتنقطع مسيرته.

٣ ـ حلول الغضب الإلهي:

ذلك أن الوالدين من أجل نعم الله على المرء، إذ هما السبب العادي في وجوده على ظهر هذه الأرض، وبجهودهما نشأ ، ونما وترعرع وصار ملئ السمع والبصر، فإذا ما عقهما فقد جحد نعمة الله عليه وجحود النعمة يقتضي الغضب الإلهي، والسخط وقد قال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (طه: ٨١) .

عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»[١].

٤ ـ سقوط هيبة الولد ووقاره من قلوب الناس:

ذلك أن الناس إذا رأوا من الولد عقوقًا لوالدين، أو لأحدهما، فإنهم ينظرون إليه على أنه خائن الأمانة جاحد النعمة وحينئذ تسقط هيبته من قلوبهم ويزول وقاره من أعينهم وقد جاء ذلك مصرحا به في حديث النبي ﷺ إذ يقول:

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب البر والصلة : باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين ص ٤٤٤ رقم ١٨٩٩ من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعًا، وموقوفًا، وأورده الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الترمذي، وقال: «صحيح» برقم ١٥٤٩ وأخرجه الحاكم في: المستدرك ٤/ ١٥٢ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه» وأقره الذهبي في: التلخيص.

« احفظ ود أبيك، لا تقطعه، فيطفئ الله نورك»[1] .

٥ ـ بغض الناس للعاق وكراهيتهم:

ذلك أن محبة الناس، والقبول لديهم له أسبابه، وبواعثه، ولكن أعظم الأسباب، والبواعث إنما هو رضا الله، ومن غضب الله عليه وسخط فإنه يحرمه محبة الناس، وقبولهم له، بل يعاقبه ببغض هؤلاء وكراهيتهم.

وقد جاء هذا صريحًا في الحديث:

إذ يقول ﷺ :

«إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء، إن الله يبغض فلانًا، فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض»[2].

٦ ـ عدم التوفيق للنطق بالشهادتين عند الموت:

ثم يكون العقاب الأكبر أن يأتي الموت العاق، وقد انعقد لسانه من النطق بالشهادتين فيختم له والعياذ بالله بالشقوة، والخسارة لأنه لم يشكر نعمة الله عليه بل جحد هذه النعمة فأصابته لعنة الحق سبحانه وتعالى وقد يكون من صور هذه اللعنة عدم التوفيق للنطق بالشهادتين عند حضور الموت.

---

(١) الحديث أورده الهيثمي: مجمع الزوائد ٨/ ١٤٧ وعزاه إلى الطبراني من حديث ابن عمر ﷺ قائلاً: «رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة صـ ٥٣٦ رقم ٣٢٠٩ وكتاب الأدب: باب المقت من الله تعالى صـ ١٠٥٥ رقم ٦٠٤٠ . وكتاب التوحيد: باب كلام الرب تعالى مع جبريل ونداء الله الملائكة صـ ١٢٩٠ رقم ٧٤٨٥، ومسلم في : الصحيح: كتاب البر والصلة: باب إذا أحب الله عبدًا أمر جبريل صـ ١١٤٨ رقم ١٥٧ / ٢٦٣٧ / ٦٧٠٥ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ واللفظ لمسلم.

٧ ـ عقوق أولاد العاق للعاق:

على العاق أن ينتظر ثمن عقوقه أبويه في الدنيا: أن يعقه أولاده من باب: «كما تدين تدان» وقد شهد الواقع صحة ذلك وصدقه قال الأصمعي: «حدثني رجل من الأعراب، قال: خرجت من الحيّ، أعقّ أعق الناس وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو، لا تطيقه الإبل في الهاجرة ، والحر شديد، وخلفه شاب في يده رشاء[١] من قِدّ[٢] ملويٍّ، يضربه به قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه، من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي قلت: فلا جزاك الله خيراً قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده فقلت هذا أعق الناس» [٣].

٨ ـ الحرمان من الجنة ، ورؤية الله عز وجل: ـ

إن كل حرمان في الدنيا يمكن تعويضه بصورة أو بأخرى أما حرمان الجنة ورؤية الله عز وجل فهو الحرمان الحقيقي الذي لا يمكن تعويضه قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ (الزمر: ١٥).

والعاق يحرمه الله في الآخرة: الجنة ورؤيته سبحانه:

يقول النبي ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما

(١) الرشاء: الحبل، أو حبل الدلو، ونحوها، انظر: المعجم الوسيط ١/٣٤٨ .

(٢) القد: السوط، وأصله: سير يقد أي: يقطع من جلد مدبوغ انظر: المعجم الوسيط ١ / ٧١٨ .

(٣) انظر: مساوىء الأخلاق صـ ٢٥٢ .

أعطى»[1].

«رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: مَنْ يارسول الله ؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما، أو كليهما، فلم يدخل الجنة»[2].

ب ـ على العمل لإسلامي:

من آثار عقوق الوالدين على العمل الإسلامي:

١ ـ القطيعة والفرقة:

ذلك أن العقوق سيمتد من جيل إلى جيل، وتتقاطع الأجيال، وتكون الثمرة المرة: التمزق، والفرقة، الأمر الذي ينتهي إلى الضعف والهزيمة .

٢ ـ سيطرة الأعداء:

إذا تمزقت وحدة المجتمع، وكان الضعف، والانهزام، سيطر الأعداء واستنزفوا خيرات الأمة، وثمراتها بل عملوا على تغيير هوية الأمة وثقافتها حتى يظلوا مسيطرين أطول فترة ممكنة.

٣ ـ طول الطريق، وكثرة التكاليف:

إذا أرادت الأمة التخلص من سيطرة الأعداء في هذا الجو المتنافر الممزَّق فإنها ستتحمل كثيراً من التكاليف ويطول بها الطريق، على الأقل حتى ينقضي هذا الجيل العاق، وينشأ جيل بار بأبويه محسن إليهما مترابط متماسك يقوم بواجبه في تحرير الأمة من سيطرة الأعداء.

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في: السنن: كتاب الزكاة: باب المنان بما أعطى صـ ٣٥٥ رقم ٢٥٦٣ من حديث ابن عمر ﷺ وأورده الألباني في: صحيح سنن النسائي رقم ٢٤٠٢ وعقب بقوله: «حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ص ـ ١١٩٩ رقم ٩/ ٢٥٥١ / ٦٥١٠ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً بهذا اللفظ.

الجانب الرابع: أسباب عقوق الوالدين وبواعثه:

لعقوق الوالدين أسباب تؤدى إليه، وبواعث توقع فيه نذكر منها:

١ ـ سوء التربية الأسرية:

يتمثل سوء التربية الأسرية في التسمية القبيحة للولد، وإهمال تعليمه كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وعدم تعريفه بفضل الوالدين وحقوقهما، وعواقب العقوق الضارة، وآثاره السيئة.

وهذا بدوره ينتهي بالمرء لا محالة إلى عقوق الوالدين وحرمانهما من أي صورة من صور البرّ، والإحسان.

٢ ـ صحبة العاقين آباءهم:

قدمنا غير مرة أثر الصحبة في تشكيل شخصية المرء، وانطلاقًا من ذلك: فإنَّ المرء قد يجد نفسه في وسط من الأصحاب شأنهم عقوق آبائهم ويتأثر بهم ويحاكيهم ويصير عاقًا لأبويه مثل قرنائه.

٣ ـ وقوف العاق عند حاضره والغفلة عن ماضيه:

قد يأخذ الله سمع العاق، وبصره، فلا يرى إلا ما تحت قدميه من أنه ابن الحاضر، أمَّا الماضي المتمثل في حمله، وولادته، وإرضاعه، ورعايته حتى بلغ أشده، واستقلاله بنفسه فينساه العاق، أو يتناساه، وإذا انتهت به الرؤية إلى هذا الحال فأيّ باعث يحمله على بر هذين الأبوين صبرًا وتحملاً وإحسانًا وأيّ مبرر يحمله على ترك عقوقهما في أيٍّ من صور العقوق.

وقد صور هذا أمية بن أبي الصلت حين عتب على ابنه يومًا، وقد امتنع من الإنفاق عليه لما كبر وشاخ، فقال مخاطبًا له:

غَذَوْتكَ مولودًا وعلتك يافعًا ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتَنْهَلُ

إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت ... لشكواك إلا ساهرًا أتململ

كأني أنا المطروق دونك بالـــذي ... طرقت به دوني فعيني تهمـــل

تخاف الردى نفسي عليك وإنني ... لأعلم أن الموت حتم مؤجـــل

فلما بلغت الســـن والغاية التي ... إليها مـــدى ما كنت فيك أؤمِّلُ

جعلت جزائي غلظةً وفظاظـــةً ... كأنك أنت المنعم المتفضـــــل

فليتك إذ لم ترع حق أبـــــوتي ... فعلت كما الجارُ، المجاور يفعل[1]

٤ ـ الاستجاب لضغط الزوجة:

ذلك أن الأبوين لاسيـما الأم ينظران إلى زوجـة الابن نظرة كراهيـة ونفور في الغـالب، ظانين أن هذه الزوجـة قد انفـردت بالابن واسـتحـوذت عليـه دونهم، وكذلك الزوجة تريد أن يـكون الزوج لها ولا نصيب للأبوين فيـه، وقد تكون لها الحظوة عند الزوج فتفـرض عليه الانقطاع عن أبويه ويستجيب لهـا ويكون العقوق والعياذ بالله .

٥ ـ إهمال النفس من التفقد والمحاسبة:

قد يهمل المرء نفـسه من التفتيـش والتفقد، والمحاسـبة، ويجد: أن هذه النفس انتهت به إلى عقوق الأبوين، وحـرمانهما حقهمـا في الرعاية، والعناية، ولو كان واعيًا أو عاقلاً، لحاسب نفسه على كل صغيـرة، وكبيرة من أمره، لا سيما عقوق الأبوين.

٦ ـ تقصير المجتمع في القيام بواجبه نحو العاقين:

قد يقـصر المجتـمع في القيام بواجـبه نحو العاقـين من النصح، والدعوة إلى التـحرر من الـعقـوق، بل الإلزام بذلك بالأسلوب المناسـب وأدناه الإنكار القلبي المتمثل في مقاطعة العاق ومحاصرته حتى يجد نفسه فردًا تعطلت مصالحه إذا قصَّر المجتمع في القيام بهذا الواجب كان استمرار العقوق والقطيعة .

(١) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣/ ١٩١ .

٧ ـ تقصير ولي الأمر في القيام بواجبه نحو العاقين:

إذا قصر ولي الأمر في القيام بواجبه نحو العاقين بما منحه الله من سلطان، وقوة فلم يوجه أو يرشد هؤلاء، ولم يخوِّف ويرهب، ولم يعاقب بالأسلوب المناسب.

إذا قصر في القيام بهذا الواجب تكون العاقبة الاستمرار في العقوق والقطيعة.

٨ ـ قسوة الأبوين في معاملة الابن:

قد يرى الوالدان نفسيهما أصحاب قدرة وسلطان على الصغير فيقسوان عليه في المعاملة، ويشب الابن، وقد تكرست في داخله آفة الحقد، حتى إذا قوي عوده، واستوى على سوقة دعته آفة الحقد إلى الانتقام، والثأر، وبعبارة أخرى إلى العقوق. والعياذ بالله.

٩ ـ حب الدنيا والتنافس عليها:

قد يبتلى المرء بحب الدنيا، والتنافس عليها، وبمرور الزمن يصير أسيراً أو عبداً لديها تلعب به، وتوجهه كما تشاء، بل تنسيه واجبه نحو أبويه، وربما التفنن في إيذائهما وإلحاق الضرر بهما.

١٠ ـ نسيان أو تناسي عواقب العقوق:

قد ينسى أو يتناسى العاق: عواقب العقوق الدنيوية، والأخروية سواء على نفسه، أو على العمل الإسلامي وهما في مجملها التعاسة والشقاء في الأولى، والأخرة.

عندما ينسى المرء، أو يتناسى هذه العواقب، فإنه يتمادى في العقوق ويغرق فيه من مفرق رأسه، إلى أخمص قدميه.

وهكذا ينتهي نسيان أو تناسي العواقب إلى الاستمرار في العقوق والقطيعة.

خامسًا: علاج عقوق الوالدين والوقاية:

ويأتي بعد هذا البيان والتفصيل دور العلاج، والوقاية، ويتلخص في:

١ ـ أن يقوي العاق ملكة المراقبة لله لديه:

ذلك أن العاق إذا عرف ربه حق المعرفة، أيقن أن ربه الواحد الموصوف بكل كمال المنزه عن كل نقص لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه يحصي عليه العقوق، وغير العقوق، وقد يعاقبه في الدنيا أو يؤخر العقاب للآخرة وخير له أن يقلع عن هذا العقوق، وأن يشفعه بالبر والإحسان من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

وأفضل طريق لتقوية هذه الملكة: دوام النظر في النفس، وفي الكون، ومعايشة القرآن الكريم، ودراسة هدي النبي الأمين محمد ﷺ والاطلاع على أحوال السلف.

٢ ـ أن يتعرف العامه ماهية العقوق وحقيقته:

ذلك أن العاق إذا أدرك ماهية العقوق، وصوره، وحكمه، وأدلة هذا الحكم، وآثاره، وعواقبه والأسباب المؤدية إليه وبلغ به هذا الإدراك حد اليقين، فإنه قد يقلع عن عقوقه، ويأخذ في التحلي بالبر والإحسان لوالديه، إذ من جهل شيئًا عاداه، ومن عرف شيئًا صادقة ووالاه.

٣ ـ أن يستل العاق نفسه من الوسط العفن إلى وسط نقي نظيف:

ذلك أن على العاق أن يستل نفسه من الوسط العفن الذي نشأ فيه، وأحاط به، وقاده إلى العقوق، وينقلب إلى وسط نقي نظيف، عارف بحقوق الوالدين، قائم بها عن طواعية ورضا، فيتشكل سلوكه من جديد على أساس من البر والإحسان لا على أساس من القطيعة والعقوق.

٤ ـ أن تتخلص الأسرة من رواسب الماضي المبني على العقوق وتتحلى بنقيض ذلك:

ذلك أن على الأسرة التي عاشت العقوق، فأفسدت أخلاق أولادها، وربتهم على هذا العقوق. أن تتخلص بكل الأساليب والوسائل من رواسب هذا العيش، وتفتح صفحة جديدة كلها بر وإحسان إلى الناس جميعًا لاسيما الوالدين.

إنها لو نجحت في القيام بتعديل سلوكها فإن ذلك له أعظم الأثر في تعديل سلوك الأولاد، ووضع أقدامهم على الطريق الصحيحة .

٥ ـ أن يحزم المرء أمره مع نفسه:مشارطة ومراقبة، وماحسبة:

ذلك أن على المرء أن يكون حازمًا مع نفسه، فيخوفها حتى يتحرك فيها وازع الخير وحين يتحرك هذا الوازع يبدأ يشترط عليها ألا تعود إلى العقوق، وإن عادت فعاقبها متعدد الأساليب متنوع المذاق، ثم يراقبها ليرى أتفي أم تغدر، وإن غدرت قام بعقابها، وتأديبها ويظل معها على هذه الحال حتى تتخلص من العقوق، وتعمل على التحلي بالنقيض من البر والإحسان.

٦ـ أن يتحرر الأبوان من القسوة مع التحلي بالرحمة والشفقة:

ذلك أنه إذا تحرر الأبوان من القسوة في معاملة الأولاد وعملا على التحلي باللين والرحمة والشفعة فإن لذلك أعظم الأثر في اقتلاع جذور الحقد من أغوار النفس ، وما يؤدي إليه من العقوق، ثم العمل على التحلي باللين، والرحمة، والشفقة، وما تؤدي إليه من البر والإحسان بالأبوين.

وصدق النبي ﷺ في قوله:

« ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»[1].

٧ ـ أن يتحرر العاق من حب الدنيا والتنافس عليها:

ذلك أن المرء إذا أخرج حب الدنيا من قلبه، وكسبها من حلال، بلا ذل ولا هوان، وأنفقها إنفاقًا وسطًا، وأدى الذي عليه فيها فإن ذلك قد يحمله على أن

(١) الحديث سبق تخريجه.

يقدر فضل أبويه ومكانتهما، والجهد الذي بذل في التنشئة، والتربية، فيتخلص من القطيعة والعقوق، ويتحلى بالبر والإحسان.

٨ـ ألا يستجيب العاق لضغوط الزوجة:

ذلك أن على العاق أن يفهم زوجته أنه ليس له أن يكرهها على بر والديه، وليس لها كذلك أن تمنعه من طاعة والدية والبر بهما والإحسان إليهما لما لهما ليه من عظيم الفضل، والمعروف أنه لو جاملها فقطع أبويه للزمه العقاب إن في الدنيا وإن في الآخرة وإن فيهما جميعًا وأنها لن تنفعه بشيء يوم يفر المرء من أخيه، وأمه، وأبيه، وصاحبته وبنيه وأنه لو عرض عليه يوم القيامة أن يفدي نفسه لفداها بملىء كنور الأرض ذهبًا إن العاق لو فعل ذلك لساعده على التخلص من العقوق ودخل به إلى ميدان الشفقة والصلة، والبر، والإحسان بالوالدين.

٩ ـ أن يتذكر العاق نعمة الأبوين عليه:

ذلك أن المرء إذا عرف مقدار الجهد الذي بذله الأبوان في التعليم، والتربية، والرعاية، والسرور والفرحة، والبكاء لحزنه وانشغال البال عليه حتى بلغ الأشد، واستقل بنفسه إذا عرف العاق ذلك معرفة حقيقية تجاوزت الآذان إلى القلب، والجنان، فإنه يرجى أن يتخلص من العقوق وأن يتحلى بالبر والإحسان.

١٠ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه نحو العاقين:

يتجلي دور المجتمع في قيامة بواجبه نحو العاقين في بذل النصيحة، والدعوة إلى التخلي عن العقوق، فإن استجاب المرء فبها ونعمت وإلا اتخذ خطوات عملية أدناها الإنكار القلبي المتمثل في المقاطعة والحصار حتى يشعر العاق أن مصالحه تعطلت، وأنه صار منبذوًا لجريمته النكراء من كل أبناء المجتمع.

أجل إن العاق إذا شعر بذلك ربما حمله هذا على التحرر من العقوق والانقلاب إلى نقيضه من البر والإحسان.

١١ ـ أن يقوم ولي الأمر بواجبه نحو العاقين:

يتلخص واجب ولي الأمر نحو العاقين بترهيب هؤلاء من العقوق، وترغيبهم في البر وإذا لم ينجح هذا الأسلوب فليكن العقاب الفعلي الذي يتناسب مع نوع

العقوق ، ويقيني أن الإمام حين يستخدم سلطانه، مع السَّير على نفس الخطوات التي مضى الحديث عنها آنفًا، فإنَّ ذلك سيكون له دور كبير في القضاء على العقوق، أو على الأقل تضييق دائرته.

١٢ ـ أن يمعن العاق النظر في سير العاقين لآبائهم، والبارِّين بهم:

ذلك أن النظر في سير الماضين الصالحين، والصالحين غالبًا ما يكون له أثر واضح في مراجعة المرء نفسه، بحيث يحملها على التطهر من الرذيلة والتحلي بالفضيلة.

وعليه فإن إمعان العاق النظر في سير العاقين لآبائهم والبارين بهم قد يحمله على المراجعة، والتعديل من سلوكه، لاسيما إذا كان صادق التوجه، قوي العزيمة، متجردًا من حوله، وقوته، محتميًا بحول الله، وقوته.

ودونك بعض صور البر:

«عن محمد بن المنكدر المتوفى سنة ثلاثين ومائة: أنه كان يضع خدّه على الأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدِّي»[١].

و«عن منصور بن المعتمر إن ابن هبيرة حبسه شهرًا يريده على القضاء، فأبى فصاحت به أمه يوما، وكان جالسًا في منزله، وكانت فظة عليه تقول له: يامنصور: يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى، فما دفع طرفه إليها»[٢].

و «عن كهمس بن الحسن التميمي البصري المتوفى سنة تسع وأربعين ، ومائة : أنه أراد قتل عقرب فدخلت في حجر، فأدخل أصابعه خلفها فضربته فقيل له: قال: خفت أن تخرج فتجئ إلى أمي تلدغها»[٣].

و «عن عبد الله بن عون المزني البصري المتوفي سنة إحدى وخمسين ومائة : أن أمه نادته فأجابها فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين»[٤].

(١) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٤٩٦، فقرة :(٢).
(٢) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ١ / ٥٠٥، فقرة :(٥).
(٣) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٤١، فقرة :(٦).
(٤) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٤٤، فقرة :(٦).

و «عن محمد بن بشار الملقب بندار، المتوفي سنة اثنتين وخمسين، ومائتين قال: أردت الخروج ـ يعني الرحلة في طلب الحديث ـ فمنعتني أمي فأطعتها براً بها فبوك لي فيه»[1].

و «كان أحمد بن علي من مسلم المعروف بابن الأبار المتوفى سنة تسعين ومائتين من أزهد الناس، واستأذن أمه في الرحلة إلى قتيبة، فلم تأذن له، ثم ماتت فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلخ ـ إحدى ولايات أفغانستان وقد مات قتيبة فأخذ الناس يعزونه على هذا يعني لوفاة قتيبة دون أن يسمع منه فقال: هذا ثمرة العلم، إني أخذت رضا الوالدة»[2] يعني العلم حمله على بر أمه وهو فرض على الرحلة وهي نافلة.

و«عن حفصة بنت سيرين قالت كانت والدة محمد حجازية، وكان يعجبها الصِّبْغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صَبَغَ لها ثيابًا، وما رأيته رافعًا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغى إليها»[3].

***

(١) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ٢ / ٨٧٧، فقرة :(٣).

(٢) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ٢ / ٩٨٩، فقرة :(٣).

(٣) انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠، فقرة :(٧).

الآفة الثالثة والأربعون
«قطيعة الرحم»

الآفة الثالثة والأربعون
«قطيعة الرحم»

والآفة الرابعة والأربعون التي ابتلي بها نفر من العـاملين وكان لها دور كبير في الإسهام فيما تعاني منه الآفة المسلمة اليوم من الفرقة والقطيعة إنما هي: «قطيعة الرحم».

وحتى يتطهر من هذه الآفـة من ابتلي بها ويتحصن ضـدها من سلمه الله ـ عز وجل ـ منها فإننا سنعرض لها من هذه الجوانب:

الجانب الأول: تعريف قطيعة الرحم والمظاهر الدالة عليها:

لغة: قطيعة الرحم مركب إضافي مـؤلف من كلمتين هما: «قطيعة» و«الرحم» ولابد من تعريف كلٍّ على حدة قبل التركيب ثم تعريف المركب بعد ودونك البيان.

أ ـ قطيعة:

تأتي القطيعة على معان نذكر منها:

١ ـ الفـصل والإبانة تقـول: قطع الشيء قطعًـا: فصل بعـضـه، وأبانه وقطع الثمر: جزه.

٢ ـ التـرك: والهجـر، تقول: قَطَعَ الصـديق: تركه، وهجـره وقطع رحـمه: هجرها، ولم يصلها[1].

ولا تعارض بين المعـنيين إذ القطيعة: الـهجران، والتـرك أو الصد على سـبيل الفصل، والإبانة.

ب ـ الرحم:

تطلق الرحم على معان نذكر منها:

(١) انظر: المعجم الوسيط ٢ / ٧٤٥ ـ ٧٤٦، الصحاح في اللغة والعلوم صـ ٩٣٥ .

١ ـ موضع تكوين الجنين ووعاؤه في البطن.

٢ ـ القرابة غير العصبة وغير ذوي الفروض كبنات الإخوة، وبنات الأعمام[1].

ولعل التعريف الثالث أولى لأنه الذي يتفق مع جوهر الإسلام الذي يدعو إلى الوحدة والتآلف لا إلى الفرقة، والتباغض.

قطيعة الرحم اصطلاحًا:

هي هجر الأقارب هجراً يتمثل في عدم البر بهم، والإحسان إليهم، وتوفير ما هم بحاج إليه، بل ربما إيذائهم باليد أو باللسان أو بهما معًا دون توقف أو انقطاع.

ولقطيعة الرحم مظاهر تعرف بها، ومنها:

١ ـ الإيذاء باللسان من الغيبة. والنميمة، والإشاعات، وإفساد ذات البين، والسب، والشتم، واللمز، والتنابذ بالألقاب، ونحوها.

٢ ـ الإيذاء باليد من الضرب، والحرمان من العون المادي، والمعنوي.

٣ ـ عدم تحمل أذى ذوي الأرحام، اللساني، واليدوي.

٤ ـ عدم العفو عن أخطاء ذوي الأرحام، ومسامحتهم.

٥ ـ حجب المعروف عنهم من : السؤال، والمواساة وقت الشدة والتهنئة بالنعمة، والزيارة، وإبراز فضلهم ومكانتهم، والابتسام في وجوههم، والإفساح في المجلس، وهلم جرا.

الجانب الثالث: آثار قطيعة الرحم، وعواقبه:

لقطيعة الرحم آثار ضارة، وعواقب وخيمة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي. ودونك هذه الآثار، وتلك العواقب:

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ١ / ٣٣٥، الصحاح في اللغة والعلوم صـ ٣٧٣ .

أ ـ على العاملين:

أما آثار قطيعة الرحم على العاملين فكثيرة نذكر منها:

٢ـ الحرمان من العون والتأييد الإلهي:

ذلك أن الله سبحانه أمضى سنته بوصل من وصل رحمه: وقطع من قطع هذه الرحم، ولا معنى لقطيعة الله للعبد سوى الحرمان من العون، والتأييد:

وقد وردت النصوص بذلك، إذ يقول ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعة الله»(١).

وإذ يقول:

«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٢، ٢٣)(٢).

وإذ يقول أيضاً:

«قال الله ـ تبارك وتعالى ـ أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»(٣).

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب من وصل وصله الله صـ ١٠٤٨ رقم ٥٩٨٧، وكتاب التفسير: سورة محمد: باب (وتقطعوا أرحاكم) صـ ٨٥٥ رقم ٤٨٣٠ ، ٤٨٣١ ، ٤٨٣٢، وكتاب التوحيد: باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ صـ ١٢٩٢ رقم ٧٥٠٢، ومسلم في : الصحيح: كتاب البر والصلة: باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها صـ ١١٢١ رقم ٢٥٥٤ / ٦٥١٨ / ١٦ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٣) الحديث أورده المنذري في: الترغيب والترهيب ٣/ ٣٤٠ من حديث أنس مرفوعًا، وعقب عليه بقوله: «رواه البزار، وإسناده حسن» والهيثمي في: مجمع الزوائد ٨/ ١٥١ وعزاه إلى البزار قائلاً: «رواه البزار، وإسناده حسن».

١ ـ حلول اللعن الإلهي والطرد من رحمته سبحانه:

ذلك أن الله لا يثني على قاطع الرحم: ولا يدنيه منه، ولا يصيبه برحمته بحال.

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥).

٢ـ نزع البركة من الرزق، والعمر:

ذلك أننا موعـدون من ربنا حين نصل رحمنا بالبـركة في الرزق، والبـركة في العمر، فإذا ما كانت قطيعة كان العقاب بنزع البركة منهما معًا.

إذ يقول ﷺ:

« من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره، فليصل رحمه»[1].

والواقع يصدق ذلك، إذ رأينا قاطع الرحم يتنكر له أرحامه ويتركونه وحده في العراء، فيـعتدى عليه الآخرون، فـيسلبونه ماله فـيعيش في ضيق، وفقـر، كما يعيش مكدر البال والخاطر فيضيع عمره بدداً بلا طائل ولا فائدة.

٣ ـ عدم قبول العمل:

خلق الله الإنسان وفيه من الضعف ما يجـعله ينهار أمام الإغراءات والشهوات. كمـا خلق فيه من القـوة ما يمكنه من المقـاومة لو أراد، وحين يقاوم المرء نفـسه؛ ليصلح من شـأنه ويسدد مسـيرته وتبقى له أخطاء فـإن هذه الأخطاء لا تحول دون قبول الطاعات أو الصالحات إلا خطأ قطيـعة الرحم، فإنه يمنع قبول أي طاعة، أو عمل صالح.

---

(١) الحديث أخرجه البـخاري في: الصحيح أبي هريرة ﷺ مرفوعًـا ورقم ٥٩٨٦ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًـا وكتاب البيوع: باب من أحب البسط فـي الرزق صـ ٣٣٢ رقم ٢٠٦٧ من حديث أنس ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب صـلة الرحم، وتحريم قطيعتـها صـ ١١٢١ ـ ١١٢٢ رقم ٢٥٥٧ / ٦٥٢٣ / ٢٠ ـ ٢١ من حديث أنس بن مالك مرفوعًا.

يقول ﷺ :

«إن اعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»[1].

٤ ـ تعجيل العقوبة في الدنيا:

ذلك أن كل ذنب يقتضي حلول العقوبة: إن عاجلاً أو آجلاً، إلا ذنب البغي وقطيعة الرحم، فإن الله يعجل عقوبتهما في الدنيا شفاء لصدور ذوي الأرحام من ناحية. وتحذيراً للآخرين من التورط في قطيعة الرحم من ناحية أخرى.

إذ يقول ﷺ :

« ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر من البغي وقطيعة الرحم»[2].

٥ ـ الحرمان من الجنة:

ذلك أن الله جعل الجنة دار المثوبة، والمكافأة في الآخرة لمن آمن وعمل صالحًا، ومن قطع رحمه لم يعمل الصالحات بل ربما استحل ذلك فيكفر والعياذ بالله، فيكون مصيره الحرمان من الجنة إما على الدوام أو لفترة تتناسب مع هذا الجرم، ثم يكون العفو ودخول الجنة يقول ﷺ :

«لا يدخل الجنة قاطع»[3].

ويقول ﷺ :

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب صفة القيامة : باب في عظم الوعيد على البغي وقطيعة الرحم صـ ٥٧١ رقم ٢٥١١ من حديث أبي بكرة ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح» وأبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في النهي عن البغي صـ ٦٩١ رقم ٤٩٠٢ من حديث أبي بكرة مرفوعًا، وابن ماجه في: السنن : كتاب الزهد: باب البغي ـ ٦١٣ رقم ٤٢١١ من حديث أبي بكرة مرفوعًا.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

«إن أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن ـ عز وجل ـ فمن قطعها حرمه الله الجنة» (١).

٦ ـ كراهة ذوي الأرحام للقاطع ودعاؤهم عليه والتخلي عن نصرته:

ذلك أنَّ حَجْبَ البر والمعروف عن ذوي الأرحام، بل أذاهم والإساءة إليهم تحملهم على كراهية القاطع ودعائهم عليه ودعوتهم مجابة لحديث:

«الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»(٢) بل إنهم ليتخلون عن نصرته، ومؤازرته فينال الناس منه.

٧ ـ فقد القاطع ثقة الناس واحترامهم:

ذلك أن الناس يشقون بمن يعطف على أهله، ويحترمونه، فإذا قطع رحمه سحب الناس ثقتهم به، واحترامهم له من باب: أنه إذا لم يكن به خير لقرابته، فلا خير فيه لأحد أبدًا.

٨ ـ القلق والاضطراب النفسي:

ذلك أنه قاطع الرحم مرتكب كبيرة من الكبائر ومثل هذا يسود قلبه على مدار الأيام وسواد القلب مرضه وقلقه واضطرابه وصدق الحق سبحانه إذ يقول:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤).

وإذ يقول:

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن: ١٧).

ب ـ على العمل الإسلامي:

وأما آثار قطيعة الرحم على العمل الإسلامي فتتمثل في:

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في الغيبة صـ ٦٨٨ رقم ٤٨٧٦ من حديث سعيد بن زيد مرفوعًا مختصرًا، ورقم ٤٨٧٧ من حديث أبي هريرة مرفوعًا بنحوه وأحمد في: المسند ١ / ١٩٠ (صـ ١٦٩ ـ ١٧٠ رقم ١٦٥١) من حديث سعيد بن زيد ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

١ ـ تمزيق وحدة المجتمع والأمة:

ذلك أنه إذا انقطعت الأرحام، فقد تمزَّقتْ وحدة المجتمع والأمة وإذا تمزقت وحدة المجتمع، والأمة صار من السهل على الأعداء النيل من كرامة هذا المجتمع، وهذه الأمة بالسيطرة على الأرض، وأخذ الثروات، والعمل على تغيير الهوية، والثقافة.

٢ ـ كثرة التكاليف، وطول الطريق:

وحين ينال الأعداء من كرامة المجتمع، والأمة، ويعمل أبناء هذا المجتمع، وهذه الأمة على التخلص من هؤلاء الأعداء فإنهم يعانون من كثرة التكاليف جهداً ووقتًا ومالاً، فضلاً عن طول الطريق.

الجانب الثاني: حكم قطيعة الرحم وأدلة هذا الحكم:

قطية الرحم بلا مبرر شرعي كبيرة من الكبائر للآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

إذ يقول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٥).

وإذ يقول النبي ﷺ:

«لا يدخل الجنة قاطع»[1].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في صلة الرحم صـ ٤٤٦ رقم ١٩٠٩ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعًا وزاد في آخره: «قال ابن أبي عمر. قال سفيان: يعني قاطع رحم» وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، والبخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب إثم القاطع صـ ١٠٤٨ رقم ٥٩٨٤، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها صـ ١١٢١ رقم ٢٥٥٦ / ٦٥٢٠ / ١٨ لاهما من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا بهذا اللفظ.

وإذ يقول:

«الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»[1].

وإذ يقول:

«إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم»[2].

كما أنها كبيرة من الكبائر للآثار والعواقب المترتبة عليها كما سيظهر بعد قليل.

الجانب الرابع: أسباب قطيعة الرحم:

هناك أسباب تدفع إلى قطيعة الرحم، وبواعث تحمل عليها: نذكر منها:

١ـ تعطل شرع الله لاسيما الجهاد:

ذلك أن إعمال شرع الله لاسيما الجهاد يكون سببا في توظيف طاقات كل فرد من أفراد الأمة: بحيث تختفي الجريمة، ويكون الترابط، والوحدة، وعلى العكس فإن تعطيل شرع الله لاسيما الجهاد يؤدي إلى شيوع الجريمة، ومنها الخصومات وقطيعة الرحم وصدق الله الذي يقول:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد:٢٢).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها صـ ١١٢١ رقم ٢٥٥٥ / ٦٥١٩ / ١٧ من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا بهذا اللفظ والبخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب من وصل وصله الله صـ ١٠٤٨ رقم ٥٩٨٩ من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا بلفظ: «الرحم شجنة، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته».

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢ / ٤٨٤ من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا بهذا اللفظ، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد ٨ / ١٥١، وعقب عليه بقوله: «رواه أحمد، ورجاله ثقات»، وكذلك قال عنه الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

٢ ـ إساءة ذوي الأرحام مع الحرص على المقابلة بالمثل:

ذلك أن صنفا من الناس إذا اعتدي عليه يحرص على المعاملة بالمثل متمثلاً قوله سبحانه:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠).

وقوله تبارك وتعالى:

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وعليه فمن لقى من رحمه إساءة، فإنه يحرص على مقابلة هذه الإساءة، بمثلها، وهذه هي قطيعة الرحم.

٣ ـ الغفلة عن قيمة الرحم وفضلها:

ذلك أن للرحم قيمة كبيرة وفضلاً عظيمًا عند الله حسبنا أنها:

- سبب في صلة الله للواصل، وقطيعته للقاطع.
- وسبب في سعة الرزق وبركة العمر: وعمران الديار.
- وسبب في قبول العمل، ودخول الجنة.
- وسبب في أن الصدقة عليها صدقة وصلة.
- وعلامة من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر.
- وسبب في حفظ حرمة الواصل. وهيبته، وكرامته.
- وسبب في راحة البال، وطمأنينة القلب.
- وسبب في الدعاء بالخير بظهر الغيب.
- وسبب في الحماية من ميتة السوء.
- وسبب في تكفير الخطايا، ومحو الذنوب.

ـ وسبب في الظفر بأعلى الدرجات في الجنة وهكذا.

ومن غفل عن هـذه الفضائل وتلك القـيمـة فإنه يتورط لا مـحالة في قطيـعة الرحم؛ لأن من جهل شيئـا عاداه لما قال الله عز وجل ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ** ﴾ (يونس:٣٩).

٤ ـ سوء التربية:

قد يُربي المرء تربية سيئة قوامها نسيان ذوي الأرحام بل إيذاؤهم بكل ما تتضمنه كلمة إيذاء فلا تتولى الأسرة التعريف بذوي الأرحام وفضلهم، ومكانتهم، كما لا تحرص على صلـتهم بأي من صور الوصل، ويـنشأ المرء حينئـذ، وليس في ذهنه شيء اسمه الأرحام، وضرورة صلة هذه الأرحام.

٥ ـ عدم قيام المجتمع بواجبه نحو قاطعي الرحم:

قد لا يقوم المجتمع بواجـبه نحو قاطعي الرحم من : النصح والوعظ والإرشاد ومحاولة الإصـلاح، والإنكار القلبي المتمثل في المقـاطعة، والحصار بحـيث يشعر كل قاطع رحم بأن مصالحه في خطر.

قد لا يقوم المجتـمع بهذا الواجب، وحينئذ يتجرأ من يريد قطيـعه رحمه، لأنه لا يرى أمامه من يقاومه، ويرده عن غيِّه، وباطله.

٦ ـ عدم قيام ولي الأمر بواجبه نحو قاطعي الرحم:

كما أنه قد يقصر ولي الأمر في القيام بواجبه نحو قاطعي الرحم من : النصح، والوعظ، والإرشاد، والإصـلاح مستخدمًـا الترغيب، والترهيب حين يـقصر ولي الأمر في القـيام بهـذا الواجب فإن كل قاطع رحـم سيتـجرأ على هذه القطيـعة، والتمادي فيها، وصدق عمر وعثمان رضي الله عنهما في قولهما:

«إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن»[1].

(١) الأثر سبق تخريجه

٧ ـ عدم الاطلاع على أحوال القاطعين أرحامهم في الماضي والحاضر:

ذلك أن السعيد من وعظ بغيره، وذلك يقتضي معرفة النتائج التي جناها غيره في الماضي، والحاضر من وراء قطيعته لرحمه، ومن لم يحرص على معرفة هذه النتائج وتلك الأحوال فإنه يتورط في قطيعة الرحم والتمادي فيها إلى حد الخسارة والبوار.

٨ ـ الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على قطيعة الأرحام:

قدمنا أن لقطيعة الأرحام آثارًا ضارة، وعواقب وخيمة على العاملين، وعلى العمل الإسلامي ومن غفل عن هذه العواقب وتلك الآثار سيتورط لا محالة في قطيعة الأرحام، ويتمادي فيها تماديًا لا يردعه خوف عاقبه، أو تقدير أثر.

الجانب الخامس: علاج قطيعة الرحم، والوقاية:

يكمن علاج قطيعة الرحم، والوقاية من هذه القطيعة، وذلك باتباع هذه الخطوات:

١ ـ أن يطبق شرع الله في الأرض:

إنَّ تطبيق شرع الله في الأرض من لدن: لا إله إلا الله إلى: إماطة الأذى عن الطريق، سيجعل كلّ طاقات الأمة، والمجتمع في شغل دائم، بحيث لا تبقى أية لحظة فراغ يمكن أن يستغلها شياطين الإنس، والجن في نشر الجريمة، والإغراء بقطيعة الرحم وذلك هو المفهوم من قوله سبحانه:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد:٢٢).

٢ ـ أن تقابل إساءة ذوي الأرحام بالإحسان:

لقد علمنا الله في كتابه أن مقابلة الإساءة بالإحسان تحول الأعداء إلى أصدقاء والمتنافرين إلى متآلفين، متحابين.

فقال سبحانه:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤ ـ ٣٥).

وعليه فإن المرء إذا لقي من ذوي رحمه إساءة. وأراد العلاج بل الوقاية فليحرس على مقابلة هذه الإساءة بالإحسان المتمثل في صلة هؤلاء الأرحام.

وقد نبَّه النبي ﷺ لذلك بقوله:

«ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[1].

٣ ـ أن يذكر المرء على الدوام قيمة صلة الرحم، وعواقب القطيعة:

مرّ بنا قيمة صلة الرحم، وفضلها، كما مر بنا كذلك عواقب القطيعة والعلاج بل الوقاية يقتضي أن يذكر القاطع على الدوام فوائد صلة الأرحام وعواقب قطيعتها سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، وصدق الله الذي يقول:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥).

والذي يقول:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ (الأعلى: ٩).

ودوام التذكير قد يكون سببًا في الإقلاع عن القطيعة والتحلي بالصلة.

٤ ـ أن يربى المرء على الترغيب في صلة الأرحام والترهيب من القطيعة:

المرء بطبيعته ينسى، وعلاج النسيان التذكير، والمعايشة، والأخذ بالأيدي للتنفيذ، والتطبيق، وعليه فإن قاطع الرحم في مسيس الحاجة إلى من يعايشه، ويأخذ بيده نحو صلة الأرحام، بل إن الواصل لا غنى له عن هذه المعايشة حتى لا يتغير، ويبتلى بالقطيعة على نحو ما صنعت أم النبي محمد ﷺ حين أخذته في زيارة لأقارب أبيه بيثرب - المدينة المنورة - وهو صغير لينشأ على رعاية فضيلة

صلة الأرحام، والوقاية من القطيعة.

٥ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه في علاج قطيعة الأرحام:

إن للمجتمع دوراً كبيراً في علاج قطيعة الأرحام، وعلى هذا المجتمع أن يقوم بهذا الدور نصيحة ووعظًا، وإرشادًا، واصلاحًا، وحصارًا للقاطع، وحربًا لتعطيل مصالحة إلى أن يقلع عن هذه القطيعة، ويتحلى بصلة الأرحام.

وليس هذا من المجتمع تدخلاً في شئون الغير بل هو جزء من وظيفته ومهمته إذ يقول سبحانه:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧١).

٦ ـ أن يقوم ولي الأمر بواجبه نحو قاطعي الأرحام:

كذلك لولي الأمر دور كبير في إصلاح قاطعي الأرحام، وعلى هذا الولي أن يقوم بهذا الواجب: نصحًا، وإرشادًا ووعظًا وإصلاحًا، وترغيبًا، وزجرًا، وتخويفًا، قبل أن يلقى ربه ويعرض نفسه للسؤال، والمحاسبة.

إذ يقول ﷺ:

«كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع، ومسئول عن رعيته والرجل في أهله راع ومسئول عن رعيته . . الحديث»[1].

٧ ـ أن يطلع القاطع لرحمه على النتائج التي وصل إليها قاطعو الرحم:

ذلك أن المرء يستطيع أن يقلع عن قطيعة الرحم ويصون نفسه عن العودة إلى هذه القطيعة حين يطلع على النتائج التي وصل إليها قاطعو الرحم في الماضي، والحاضر، علَّ هذا الاطلاع يساعد قاطعي الرحم على أن يقلعوا عن هذه الآفة ويتحلوا بعكسها من صلة الأرحام إما اقتداءً وتأسيًا، وإما تشبهًا ومحاكاة.

(١) الحديث سبق تخريجه.

٨ ـ أن يقف المرء على حكم قطيعة الأرحام.

إذا وقف المرء على حكم قطيعة الأرحام، وأدلة هذا الحكم النقلية والعقلية، والواقعية، وكان حريصًا على تنفيذ حكم الله، ورسوله، فإنه سيقلع عن قطيعة الرحم، ويتحول إلى صلة هذه الرحم، من باب : أن المسلم لا يسعه أمام حكم الله ورسوله إلا أن يسمع ويطيع.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (النور: ٥١ ـ ٥٢).

٩ ـ أن يتحلى قاطع رحمه بتقوى الله:

إن إقلاع قاطع رحمه عن هذه الآفة ليس بالأمر الهين، ولا بالأمر اليسير، وحتى يسهل عليه ذلك فإن عليه أن يتحلى بتقوى الله عن ترك المعاصي والسيئات صغيرها، وكبيرها، ظاهرها، وباطنها وأن يكثر من الطاعات ظاهرها وباطنها، صغيرها وكبيرها لاسيما الدعاء: أن يلين الله قلبه وجلده، وجوارحه فيقلع عن قطيعة رحمه، ويقبل على صلتها، وتقوية هذه الصلة .

١٠ ـ أن يعين الأرحام قاطع الرحم على نفسه لتجاوز محنته:

ذلك أن قاطع الرحم قد يقلع عن قطيعته، ويمشي إلى رحمه يريد وصلها، فيجد من الأرحام إعراضًا، وصدودًا، وحتى يتجاوز القاطع محنته فإنَّ على الأرحام أن يلينوا بالاستجابة، والتشجيع، والمسامحة، وأن يشكروا له عمله، على نحو ما مر بنا من استجابة عائشة لعبد الله بن الزبير لما قطعته وجاء معتذرًا يريد وصلها مستعينًا بالله ثم بنفر من التابعين، فسهلت عليه أمر الطاعة وأعانته على الاستمرار.

***

الآفة الرابعة والأربعون
«تضييع الأولاد»

الآفة الثالثة والأربعون
«تضييع الأولاد»

والآفة الثالثة والأربعون التي ابتلي بها كثير من العاملين ولها آثار خطيرة وعواقب وخيمة على العمل الإسلامي ويوشك أن يبتلى بها آخرون ما لم يكن هناك مبادرة جادة لعلاج هذه الآفة، بل الوقاية منها، إنما هي «تضييع الأولاد» وحتى يكون لنا تصور عن أبعاد ومعالم هذه الآفة فإننا سنعرض لها من هذه الجوانب.

الجانب الأول: تعريف تضييع الأولاد والصور الدالة على هذا التضييع:

لغة: يأتي التضييع لغة على معان نذكر منها:

١ ـ الإهمال، تقول: ضيع الشيء، وأضاعة : أهمله.

٢ ـ الفقد، تقول: ضيع الشيء، وأضاعه: فقده.

٣ ـ الفقر والجوع، تقول: ضيع الشيء، وأضاعه: أجاعه وأفقره ولا تعارض بين هذه المعاني إذ التضييع: الإهمال بصورة تنتهي إلى الفقر، والجوع، بل الفقد.

اصطلاحًا:

أما تضييع الأولاد اصطلاحًا فهو إهمالهم من التعهد والرعاية بصورة تؤدي إلى فقرهم وجوعهم وتشردهم كأنهم صاروا مفقودين أو في حكم المفقودين ولذلك صور، نذكر منها:

١ ـ حرمان الأولاد من الجلوس معهم لتعريفهم بأصل هذا الوجود، وبأنفسهم ودورهم، ورسالتهم في الأرض وبالقدوة التي عليهم أن يسيروا وراءها وبالمنهج الذي يتحاكمون إليه في كل ما يأتون وما يدعون والكون الذي يعيشون فيه والصلة

المتبادلة بينهم وبين هذا الكون وعالم الملائكة، والجن، وكذلك تعريفهم بالعاقبة، والمصير، والحقوق والواجبات، والأعداء، والاصدقاء، والأمراض التي يمكن أن يصابوا بها وسبيل العلاج منها.

٢ ـ عدم الاهتمام باختيار قرناء الأولاد، الأمر الذي قد ينتهي بوقوع هؤلاء الأولاد فريسة لأصدقاء السوء.

٣ ـ عدم تفقد الأولاد للوقوف على المشكلات والعقبات التي تعترض طريقهم، وسبيل التعامل مع هذه المشكلات، وتلك العقبات.

٤ ـ الاهتمام بتوفير الجانب المادي للأولاد مع إهمال الجانب الخلقي والقيمي الأمر الذي قد يكسبهم أخلاقًا وقيمًا بعيدة عن الأخلاق والقيم الإسلامية ويقع مالا تحمد عقباه.

٥ ـ تربية الأولاد بأساليب خاطئة تتعارض مع فطرتهم، وواقعهم الأمر الذي قد يؤدى بهم إلى العزلة والانطواء أو التسيب والانفلات.

الجانب الثاني: حكم تضييع الأولاد، وأدلة هذا الحكم:

ينظر الشارع الحكيم إلى تضييع الأولاد على أنه من أكبر الآثام والذنوب إذ يقول الحق سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)

إن مفهوم الآية أن من أهمل نفسه، وأهله فقد عرضها للنار التي وقودها الناس والحجارة، والعياذ بالله.

ويقول ﷺ:

«كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[1].

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الزكاة: باب في صلة الرحم صـ ٢٥٠ رقم ١٦٩٢، وأحمد في: المسند ٢/ ١٦٠ كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا، واللفظ لأبي داود.

كما أن الأولاد ممن يسأل عنهم المرء إذ يقول ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع، ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله، ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده، ومسئول عن رعيته فكلكم راع ومسئول عن رعيته»[1].

قال الإمام الخطابي:

«اشتركوا، أي الإمام، والرجل، ومن ذكر في التسمية، أي في الوصف بالراعي، ومعانيهم مختلفة فرعاية الإمام الأعظم حياطة الشريعة بإقامة الحدود، والعدل في الحكم، ورعاية الرجل أهله، سياسته لأمرهم، وإيصالهم حقوقهم، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك ورعاية الخادم: حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته»[2].

على أن الآثار الخطرة والعواقب الوخيمة لتضييع الأولاد تقتضي أن يكون هذا التضييع إثمًا عظيمًا: وجرمًا كبيرًا كما سيظهر بعد قليل.

الجانب الثالث: آثار تضييع الأولاد وعواقبه:

لتضييع الأولاد آثار ضارة، وعواقب خطيرة على العاملين، وعلى العمل الإسلامي، نذكر منها:

أ ـ على العاملين:

فمن آثار تضييع الأولاد على العاملين:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأحكام: باب قول الله تعالى ﴿أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول﴾ صـ ١٢٢٩ رقم ٧١٣٨، ومسلم في: الصحيح كتاب الإمارة: باب فضيلة الأمير العادل، وعقوبة الجائر ص ٨٢ رقم ٢٠ كلاهما من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعًا واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣/ ١١٣.

١ ـ حرمان الآباء بر الأولاد:

ذلك أن الأبوين أو أحدهما إذا أهملا رعاية الأولاد، والعناية بهم حتى ضاعوا فإن النتيجة أن الأولاد سيتحولون إلى عاقين فيحرم الآباء بر الأولاد ويتكدر خاطرهم، وتصير الحياة جحيمًا لا يطاق.

٢ ـ تحول الأولاد إلى خنجر مسموم في صدر الآباء:

قد ينتهي تضييع الأولاد: أن تتلقفهم جهات مشبوهة وتعمل على تشكيلهم تشكيلاً خاصًا بحيث يصبحون خناجر مسمومة تحول إلى صدر الآباء فتقتلهم أو على الأقل تعطلهم ويتحولون إلى عبء على العمل الإسلامي والمفروض أن العمل الإسلامي عبء على كاهلهم.

٣ ـ انتشار الجريمة وتهديد أمن المجتمع:

يؤدي تضييع الأولاد إلى انتشار الجريمة بكل أشكالها وصورها ويوم تنتشر الجريمة فإن أمن المجتمع يصير مهددًا تحيط به المخاطر من كل ناحية وأقل هذه المخاطر القعود عن العمل والإنتاج.

٤ ـ تراكم الذنوب والآثام على المضيعين أولادهم:

في ضوء الثلاثة الأولى التى مضى الحديث عنها آنفًا، فإن المرء يكتب عليه من الآثام، والذنوب بكل خطيئة اقترفها من ضيّعه ومن حاكاه في ذلك حتى يستوجب النار، وبئس القرار وحسبنا قوله ﷺ:

«كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[1].

٥ ـ العزلة والانطواء أو التسبب والانفلات:

قد تؤدى القسوة في المعاملة إلى نوع من العزلة والانطواء أو التسيب والانفلات، وكلاهما فيه من الضرر على العاملين، وعلى العمل الإسلامي ما فيه، حسبنا أن العزلة أو الانطواء قد ينتهيان إلى فصام الشخصية وكذلك يؤدي

(١) الحديث سبق تخريجه.

التسيب إلى القحّة ونزع الحياء، وفي الحديث:

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1].

٦ ـ تعريض النفس للمسائلة غداً بين يدي الله ـ عز وجل ـ:

ثم يكون تعريض النفس للمسائلة غداً بين يدي الله عز وجل ـ عن سبب تضييع الأولاد، ومن نوقش الحساب عذب ثم يكون المؤاخذة الشديدة التي لا يعلم كم هي؟ وماهيتها؟ سوى الله تبارك وتعالى..

وقد سبق حديث ابن عمر الدال على ذلك: «ألا كلكم راع...».

ب ـ على العمل الإسلامي:

وآما آثار تضييع الأولاد على العمل الإسلامي فكثيرة أهمها:

١ ـ اتساع دائرة الانحراف:

ذلك أن المفروض أن تكون ثمرة العمل الإسلامي اتساع دائرة الاستقامة وضيق دائرة الانحراف، وإن تضييع الأولاد يؤدى إلى العكس، إذ تتسع دائرة الانحراف، وتضيق دائرة الاستقامة، وهذا فيه من الضرر ما فيه.

٢ ـ تمزيق وحدة المجتمع وتمكن الأعداء:

ذلك أنَّ وحدة المجتمع تبدأ من الأسرة، وذلك بالاهتمام بالأولاد، وحسن تأديبهم ، وتربيتهم، والعمل على معايشتهم وحل مشكلاتهم، وإذا حدث العكس كان ضياع الأولاد وكانت الفرقة فتتمزق وحدة المجتمع، ويتمكن الأعداء.

٣ ـ طول الطريق وكثرة التكاليف:

حين يتمكن الأعداء فإنهم يعملون فوراً على تغيير ثقافة الأمة وهويتها، وذلك بتغيير مناهج التعليم، وفتح باب الرذيلة على مصراعيه والتضييق على الفضيلة، ويوم أن تصحو الأمة وتعمل على طرد هؤلاء الأعداء، بتحرير العقول والقلوب

(١) الحديث سبق تخريجه.

فإنها تستغرق وقتًا طويلاً، وتتكلف كثيرًا من بذل النفوس، والأموال، والجهد والأوقات، فضلاً عن نضوب الخيرات والثروات وذهابها إلى خزائن الأعداء بحيث تعيش الأمة في فقر مدقع زمانًا طويلاً ومرد ذلك بدايةً إلى إهمال الأولاد حتى كان الضياع وكانت الآثار الخطيرة والعواقب الضارة التي مضى الحديث عنها بالنسبة للعاملين.

الجانب الرابع: أسباب تضييع الأولاد:

لتضييع الأولاد أسباب كثيرة، وبواعث عدة ، نذكر منها:

١ ـ عدم تقدير الوالدين نعمة الأولاد:

ذلك أن نعم الله على المرء لا تعد ولا تحصى ومن بينها نعمة الأولاد من حيث إشباعها للأبوة والأمومة، واستمرار النوع الإنساني، وامتداد الذكر على ظهر الأرض وعدم تقديرالوالدين نعمة الأولاد يؤدي إلى إهمالهم، وعدم رعايتهم ومن ثم تضييعهم.

٢ ـ انغماس الآباء في طلب الدينا:

ذلك أنه ليس محظورًا على المرء أن يطلب الدنيا، بل المحظور ان ينغمس في طلبها انغماسًا ينسيه عاقبته ومصيره، وأهله، وولده وعليه فقد ينغمس الوالدان في طلب الدنيا، ويشغلهم هذا الانغماس عن رعاية الأولاد، وتفقدهم، وتكون العاقبة ضياع هؤلاء الأولاد.

٣ ـ انفصال الأبوين:

ذلك أن كمال رعاية الأولاد إنما يكون بالالتحام التام بين الأبوين والتعاون الوثيق، وقد لا يتحقق هذا الالتحام، وذلك التعاون بسبب انفصال هذين الأبوين، ويصبح الأولاد بلا رعاية، أو برعاية قاصرة، ناقصة، وحينئذ يكون الضياع لهؤلاء الأولاد.

٤ ـ عيش الأولاد في غير كنف الأم:

قد يحدث أن يحرم الأبناء من رعاية الأم إما لموت، وإما لانفصال، وتقوم

عليهم زوجة الأب، وقد تكون هذه الزوجة غير دينّة، أو ضيعفة التدين، بحيث تتسلط عليهم بعد احتوائها للأب، وصرفه عن منحهم جرعة عطف أو حنان، وتكون عاقبة هذا التسلط ضياع هؤلاء الأولاد.

٥ ـ كثرة الواجبات للأبوين أو لأحدهما:

قد يكون الأبوان أو أحدهما على درجة لا بأس بها من الاستقامة، وتحملهم هذه الاستقامة على الاشتغال بهداية الآخرين وإرشادهم إلى صراط الله المستقيم، إلى حد الإكثار من الواجبات والتبعات ويكون ذلك بالقطع على حساب الأولاد، بحيث يحرمون التفقد، والرعاية ويكون مآلهم الضياع، والعياذ بالله.

٦ ـ سوء التخطيط والإدارة للوقت:

قد تكثر الواجبات على أحد الوالدين، أو عليهما معا لسبب أو لآخر، ولا ضير في ذلك ولكنهما يهملان أو يسيئان التخطيط والإدارة للوقت بحيث تذهب أجزاء كثيرة من الوقت فيم لا طائل تحته ولا فائدة ترجى منه، وبعض ذلك قد يكون على حساب رعاية الأولاد وتفقدهم ويكتشف الأبوان في النهاية خطورة إهدار الوقت وما ترتب عليه من تشرد الأولاد وضياعهم.

٧ ـ قرناء السوء:

إذ قد يبتلى الأب أو الأم أو هما معا بقرناء السوء، بحيث يستحوذ هؤلاء القرناء عليهم، ولا يتركون لهم لحظة تقضى في الاطلاع على أحوال الأولاد، ومشاركتهم سراءهم، وضراءهم وتكون النتيجة تشرد هؤلاء الأولاد وضياعهم.

٨ ـ إهمال النفس من المحاسبة وتدارك التقصير:

إذ قد يصاب المرء لسبب، أو لآخر بالغفلة عن محاسبة النفس، ومعرفة ما لها، وما عليها، وكيفية المحافظة على ما لها، والتخلص والتطهر مما عليها، ويكون الأولاد ضمن المحاور التي يقوم عليها مبدأ المحاسبة، وينساهم الأبوان أو أحدهما حتى يكون التشرد، والضياع.

٩ ـ عدم قيام المجتمع بواجبه نحو تقصير الآباء في حق الأبناء:

إذ على المجتمع عبء كبير في الإنكار على الآباء الذين يقصرون في حق أولادهم ومحاولة إصلاحهم، والأخذ بأيديهم إلى شاطيء السلامة وبر الأمان، مع مراعاة الحكمة، والموعظة الحسنة في كل ما تقدم وعدم قيام المجتمع بهذا الواجب على النحو اللائق، والمنشود يؤدي لا محالة إلى تشرد الأولاد وضياعهم .

١٠ـ عدم قيام ولي الأمر بواجبه نحو تقصير الآباء في حق الأبناء:

ذلك أن منزلة ولي الأمر في الأمة كمنزلة الوالد في نفوس أولاده يتفقد كل واحد فيها، ويرعاه، ويتعهده كي يصل يوم القيامة إلى أن يجلس على يمين الرحمن على منابر من نور، ويوم لا يقوم ولي الأمر بهذا الواجب نحو تقصير الآباء في حق الأبناء فإن العاقبة تكون الفشل للأولاد، وضياعهم.

١١ ـ اختراق الثقافات الوافدة لثقافة الأمة المسلمة:

ذلك أن للأمم الأخرى ثقافات تعارض ثقافة الأمة المسلمة ولا تلتقي معها بحال وحين تهمل ثقافة الأمة المسلمة لسبب أو لآخر، فإن الثقافات الوافدة تعمل جاهدة على اختراق هذه الثقافة ويتأثر بها الآباء، والأبناء على السواء، الأمر الذي تكون عاقبته فشل الأولاد، وتشردهم، وضياعهم وبالتالي خسارة الأمة خسارة لا تقدر بمال على النحو الذي تعيشه الأمة الآن بسبب المدارس الأجنبية، والإعلام الهابط، وتغيير مناهج التعليم وهلم جرا.

١٢ ـ الجهل بمنهج تربية الأولاد:

ذلك أن تربية الأولاد ليست بالأمر الهين ولا باليسير، وإنما لها منهجية خاصة أبرز معالمها: وحدة مركز التوجيه والتأديب، والتبكير بها من لحظة اختيار كل من الزوجين للآخر، واستقائها من ثقافة الأمة، ودورانها بين اللين والشدة، وحسن اختيار القرين، والتعويد على الانضباط في كل شيء وحمل المسئولية منذ نعومة الأطفال، والتفقد، والرعاية المستمرة وعلاج الأخطاء أولاً بأول وهكذا، وحين يجهل الوالدان هذه المنهجية تكون العاقبة تشرد الأولاد، وضياعهم.

١٣ ـ نسيان العواقب المترتبة على تضييع الأولاد:

قدمنا أن هناك عواقب وخيمة وآثاراً ضارة تترتب على تضييع الأولاد، وعلى المرء أن يكون ذاكراً لها على الدوام حتى إذا دعاه داعي الكسل، والفتور أن ينسى أولاده بلا تفقد ولا رعاية كان من ورائه سوط سوء العاقبة الذي يلهب ظهره، ويحمله حملاً على الجدية في رعاية الأولاد وتفقدهم أما حين ينسى هذه العواقب أو يتناساها فإن النتيجة تكون فشل الأولاد وتشردهم وضياعهم.

الجانب الخامس: علاج تضييع الأولاد والوقاية:

مضى الحديث حول ماهية تضييع الأولاد: وصوره، وحكمه وأدلة هذه الحكم، والآثار المترتبة على ذلك ، وتحديد الأسباب والبواعث وفي ضوء ذلك يأتي دور العلاج والوقاية ويتلخص في اتباع هذه الخطوات:

١ ـ أن يدرك الأبوان نعمة الأولاد وأن يعملوا على شكرها:

ذلك أن الله ذكر في كتابه أن الأولاد نعمة أي نعمة، وأوجب شكره على هذه النعمة حتى تدوم، وأعظم شكر لهذه النعمة: أن يوقن الآباء قيمتها وأن يعرفوا أولادهم بها وبالمنعم المتفضل، وأن يتزلوا على حكمه في كل ما يأتون وما يدعون ليبارك لهم أعمارهم ، وسعيهم.

قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٢).

٢ ـ أن يحتسب الوالدان الجهود المبذولة في حماية الأولاد من الضياع:

ذلك أن حماية الاولاد من الضياع تحتاج إلى جهود كبيرة، وعلى الوالدين أن يحتسبا هذه الجهود، والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً إذ يقول النبي ﷺ:

«من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن، وأحسن إليهن فله الجنة»[1].

وعن عائشة ﵂ قالت: «دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة، فأعطيتها إيَّاها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال النبي ﷺ:

«من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار»[2].

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم إصابعه[3].

٣ ـ أن يوقن الأبوان أن تربية الأولاد شرف الدنيا والآخرة:

ذلك أن من أراد شرف الدنيا فعليه بإحسان تأديب ولده، ومن أراد شرف الآخرة فعليه بإحسان تأديب ولده كذلك.

حسبه الذكر الحسن، والثناء الجميل في الدنيا، وحسبه رضا الله والجنة في الآخرة إن ذلك أعظم ألف مرة ومرة من الدنيا وما فيها من عرض زائل، يقول ﷺ:

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في فضل من عال يتامى صـ ٧٢٣ رقم ٥١٤٧ من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الزكاة: باب اتقوا النار، ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة صـ ٢٢٩ رقم ١٤١٨، وكتاب الأدب: باب رحمة الولد، وتقبيله ومعانقته صـ ١٠٤٩ رقم ٥٩٩٥، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب فضل الإحسان إلى البنات صـ ١١٤٦ رقم ١٤٧ ـ ١٤٨ / ٢٦٢٩ ـ ٢٦٣ ـ ٦٦٩٣ ـ ٦٦٩٤، والترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في النفقة على البنات، والأخوات صـ ٤٤٧ رقم ١٩١٣، ١٩١٥ كلهم من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة: باب فضل الإحسان إلى البنات صـ ١١٤٦ رقم ١٤٩ / ٢٦٣١ / ٦٦٩٥، والترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في النفقة على البنات، والأخوات صـ ٤٤٧ رقم ١٩١٤ كلاهما من حديث أنس مرفوعًا بهذا اللفظ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن غريب».

«ما نَحَلَ والدٌ ولدًا من نَحل أفضل من أدب حسن» (١).

٤ ـ أن يعمل الوالدان على تحسين علاقة كل منهما بالآخر:

قدمنا أن سوء العلاقة بين الأبوين يؤثر كثيرًا في رعاية الأولاد وتربيتهم وعليه فإن واجب الأبوين تناسي حظوظ أنفسهما، وعدم الاستجابة لإغراءات الشياطين الإنسية، والجنية وأن يحرصا عرضا على التلاحم التام فيما بينهما كي يعطيا الأبناء الجرعة التربويةالكافية لإصلاحهم واستقامتهم .

٥ ـ أن يدرج الوالدان رعاية الأولاد في أول سلم الواجبات:

ذلك أنه ينبغي أن يكون المسلم مرتبًا في حياته، بحيث يجعل رعاية الأولاد، وتربيتهم في أول سلم الواجبات المنوطة به، هذا إذا لم يستطع توزيع هذه الواجبات بينه وبين غيره من إخوانه وبني جنس،ه وقد نبه النبي ﷺ إلى ترتيب الواجبات بتصديقه على قول سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما:

«إن لربِّك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كلّ ذي حق حقَّه»(٢).

٦ ـ أن يعطي الأب الأولاد مزيداً من الرعاية عن حرمانهم من أمهم:

إذا كان على الأب أن يرعى أولاده ويتعهدهم، فإن الأمر يتأكد عند حرمان هؤلاء الأولاد ـ لسبب أو لآخر ـ من أمهم.

ذلك أنَّ على الأم المعول الأكبر من إصلاح الأولاد، وتوجيههم، فإذا غابت عنهم الأم، فعلى الأب أن يقوم منهم مقام الأم، والأب معًا، ليقي نفسه النار، وينال ثناء الله ورضوانه والملائكة والناس أجمعين.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة : باب ما جاء في أدب الولد صـ ٤٥٣ رقم ١٩٥٢ من حديث أيوب بن موسى، عن أبيه، عن جده مرفوعًا بهذا اللفظ، وعقب على حديثه بقوله: «هذا حديث غريب وهذا عندي حديث مرسل».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الصوم: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع صـ ٣١٦ رقم ١٩٦٨ من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

٧ ـ أن يهتم الوالدان بحسن اختيار قرناء الأولاد:

ذلك أن المرء على دين خليله والواجب أن يكون الخليل صالحًا مستقيمًا، وتلك مسئولية الأبوين بحيث يعطي هذا الاختيار النصيب الأوفى من حياتهما، وإن كلفهما ذلك ما كلفهما لأن الأمر أمر مصير فإما سعادة في الدنيا والآخرة، وإما شقوة منهما كذلك.

٨ ـ أن يحمي الآباء الأولاد من اختراق الثقافات المنافية لثقافة الأمة:

إن حماية الأولاد من اختراق الثقافات المنافية لثقافة الأمة المسلمة يحتاج إلى متابعة الأولاد في البيت والمجتمع، والمدرسة فلا يلتحق هؤلاء الأولاد بمدارس تبشيرية ولا يترك الأولاد فريسة لإعلام هابط مدمر، كما لا يتركون في أيدي المنحرفين من أبناء المجتمع، ولا يسلمون لخادمات فاقدات الأهلية ليقمن بتربية وإعداد جيل الحاضر والمستقبل.

٩ ـ أن يتقن الوالدان فن تربية الأولاد:

ذلك أن عملية التربية للأولاد تحتاج إلى أن يتقنها الوالدان مهما كلفتهم من جهد، ووقت، ومال، ولا يتم ذلك إلا بالإطلاع على مناهج التربية القديمة، والمعاصرة، واختيار المناسب منها لهذا العصر، وكذلك الإفادة من تجارب الآخرين بما لا يتعارض مع مباديء الشرع الحنيف ، ومعايشة أهل الخبرة والتجربة، وإفادة المرء من أخطائه وسؤال الحق سبحانه وتعالى الإلهام، والرشاد لأحسن المناهج، وأعدلها، على النحو الذي علمنا في قوله:

﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ (الفرقان: ٧٤).

١٠ ـ أن يقوم المجتمع وكذلك ولي الأمر بدورهما في علاج تضييع الأولاد:

إذا قام المجتمع بواجبه نحو الآباء المقصرين في حق أولادهم من النصح والإرشاد، بل الإنكار بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا لم يفد كل ذلك فليكن

الإنكار القلبي المتمثل في المقاطعة ، والحصار حتى يعود الآباء إلى رشدهم، وصوابهم، ويعملوا على تقويم عوج الأولاد، وإصلاحهم وكذلك على وليّ الأمر أن يقوم بواجبه في علاج هذه الظاهرة الخطيرة ـ أعني ظاهرة تضييع الأولاد بما منحه الله من بأس، وسلطان تارة بالكلمة، وتارة باليد، وليكن العلماء لسان وليّ الأمر، مع غيرهم من أهل التوجيه، والإرشاد كي تثمر هذه الجهود، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

١١ ـ أن يحاسب الوالدان أنفسهما أولاً بأول بشأن تأديب الأولاد:

ذلك أن محاسبة المرء لنفسه ستوقفه على جوانب الخلل والقصور ولئن كان صادقًا مع ربه طامعًا في رضاه فإنه سيعمل على تدارك هذا الخلل، وذلك التقصير، وعليه فإن على الوالدين تطبيق هذا المبدأ على أنفسهما: أين هي الإيجابيات والسلبيات بشأن تأديب الأولاد؟ ثم يأخذان في المحافظة على الإيجابيات وتنميتها، والعمل على التخلص من السلبيات مستحضرين الوقوف غدًا بين يدي الله ـ عز وجل ـ والمساءلة ثم الجزاء من جنس العمل إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

ولقد دعا رب العزة إلى ذلك بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦).

١٢ ـ أن يستحضر الأبوان عواقب تضييع الأولاد:

قدمنا بيانًا مفصلاً عن عواقب تضييع الأولاد على العاملين وعلى العمل الإسلامي فكانت شيئًا مخيفًا، وعلى الأبوين أن يستحضرا هذه العواقب إن كانا حريصين على نجاة أولادهما، ونجاحهما وإن واحدة منها لتكفي المقصر أن يقلع عن تقصيره فكيف وقد صارت كمًا هائلاً.

إن استحضار ذلك مع تقوي الله، والتبتل، والضراعة أن يصلح الله الأولاد، وأن يأخذ بأيديهم إلى شاطيء السلامة وبر الأمان سيحرك الأبوين أن ينهضا لتدارك التقصير والخلل قبل أن تقع الواقعة، ويكون الندم حيث لا ينفع الندم.

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣).

* * *

الآفة الخامسة والأربعون
«تضييع كل من
الزوجين للآخر»

الآفة الخامسة والأربعون
«تضييع كل من الزوجين للآخر»

والآفة الخامسة والأربعون التي ابتليت بها جميع شعوب الأمة المسلمة إلا من رحم الله، وكانت سببًا في كثير من المعاناة، والتأخر، والانحطاط إنما هي: تضييع كل من الزوجين للآخر، وحتى يُقضى على هذه الآفة أو على الأقل تضييق هوتها، ويحترز منها من سلمه الله - عز وجل- منها؛ فإنه لا بد من الوقوف على أبعادها ومعالمها، وذلك من خلال هذه الجوانب.

الجانب الأول: معنى تضييع كل من الزوجين للآخر، ومظاهر هذا التضييع:

يراد بتضييع كل من الزوجين للآخر عدم قيام كل منها بواجبه نحو الآخر بصورة يكون معها الشتات والضياع، ولذلك مظاهر، نذكر منها:

١- التقصير في حق الله والرسول، والمؤمنين، بل الناس أجمعين.

٢- التشتت الذهني، وعدم القدرة على التفكير المحمود المنضبط.

٣- الانطواء، والعزلة، أو الكبت والقهر.

٤- القلق والاضطراب النفسي، والسلوكي المتمثل في اقتراف الجرائم.

٥- التبرم بالحياة، وربما العمل على التخلص منها. إلى غير ذلك من المظاهر.

الجانب الثاني: موقف الإسلام من تضييع كل من الزوجين للآخر:

يحرِّم الإسلام تضييع كل من الزوجين للآخر؛ إذ يقول النبي ﷺ : «وكفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع من يقوت»[1].

(١) الحديث سبق تخريجه.

ويخبر النبي ﷺ أن ذلك هدف أساسي من أهداف إبليس يسعى إليه، ويحرص على تحقيقه، ويفرح أشد الفرح إذا وقع، فيقول ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم؛ فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنت». قال الأعمش: أراه قال: (فيلتزمه)[1].

ويخبر النبي ﷺ عن عقوبة المرأة إذا آذت زوجها فضيعته؛ فيقول: «أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقًا في غير بأس؛ فحرام عليها رائحة الجنة»[2]، ويقول: «إذا دعا الرجل امرأتَه إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح»[3].

كما يخبر ﷺ عن عقوبة الرجل إذا آذى امرأته، فكان ذلك سببًا في ضياعها، فيقول:

«من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما؛ جاء يوم القيامة وشقه مائل»[4].

ويقول: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «ذئرن النساء على أزواجهن، فرخَّص ﷺ في ضربهن» فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن فقال النبي ﷺ : «لقد طاف بآل محمد نساء كثير

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا ص ١٢٢٥ رقم ٧١٠٦ / ٢٨١٣ / ٦٧ من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعًا به.

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطلاق، باب في الخلع ص ٣٢٢ رقم ٢٢٢٦ من حديث ثوبان ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة ص ٣٠٩ رقم ٢١٤١ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٤) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في القَسْم بين النساء، ص ٩٠٨ رقم ٢١٣٣ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم»[1].

على أن الآثار والعواقب المترتبة على تضييع كل من الزوجين للآخر، كما سيأتي بعد قليل تأكيد واضح وقوي على بغض الشارع الحكيم لهذا التضييع وتحريمه.

الجانب الثالث: آثار تضييع كل من الزوجين للآخر وعواقبه:

لتضييع كل من الزوجين للآخر آثار خطيرة، وعواقب ضارة، نذكر منها:

أ- على العاملين:

١- التشتت الذهني:

ذلك أن التشتت الذهني إنما هو ثمرة تضييع كل من الزوجين للآخر؛ إذ كل منهما يصيبه من أذى الآخر ما يجعله موزَّع الهمة، شارد الذهن، الأمر الذي ينتهي به إلى شلل من التفكير، ومن ثم القعود والانقطاع عن أداء دوره، وواجبه في هذه الأرض.

٢- القلق والاضطراب النفسي:

كما يؤدي تضييع كل من الزوجين للآخر إلى القلق والاضطراب النفسي؛ ذلك أن كل واحد منهما بتقصيره في حق الآخر قد ارتكب ظلمًا في حق نفسه، وحق غيره، وعاقبة الظلم القلق والاضطراب النفسي، وذلك هو المفهوم من قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٣- التردي في الهاوية:

كما يكون التردي في الهاوية، والوقوع في الجريمة فتُنتَهك أعراض وتسلب

(١) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء ص ٣١٠ رقم ٢١٤٦ من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب مرفوعًا بهذا اللفظ، ومعنى: «ذئرن النساء على أزواجهن»: نشزن على أزواجهن أو تمردن على أزواجهن، ولم يسمعن الكلام.

أموال، وتراق دماء، ويتصدع بنيان المجتمع، وقد ينهار - والعياذ بالله !- وهذا ما حذر منه النبي ﷺ عندما قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانتْ في النساء».

٤- حلول الغضب الإلهي:

ذلك أن تضييع كل من الزوجين للآخر، إنما هو إهدار لحكم الله الذي شرعه لإصلاح شئون الأسرة، والربط بين الزوجين، وحين يُهدِرُ الزوجان حكم الله فإن عليهم أن ينتظروا حلول الغضب الإلهي، وما ظنُّك بعاقبة أناس حل عليهم غضب الله وسخطه!!؟

إنه السقوط في الهاوية التي لا خروج منها، ولا نهوض بعدها، وصدق الله الذي يقول:

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه: ٨١)

٥- نزع البركة من الرزق، والأجل:

إذ تضييع كل من الزوجين للآخر يشوش الذهن، ويَشْغَل البال والخاطر كما قدمنا، الأمر الذي يصرف عن السعي لكسب الرزق، ويضيع العمر هباء وبددًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦)

وقال رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمرِ إلا البرُّ، ولا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ، وإن الرجلَ ليُحرَم الرزق بخطيئة يعملها»[1].

(١) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء ص ١١٨٧ رقم ٦٩٤٨/ ٢٧٤٢/ ٩٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

وفي رواية: «وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

٦- ضياع الأولاد، أو الحرمان منهم أصلاً:

إذ الشقاق بين الزوجين يؤدي إلى الاشتغال بهموم النفس عن تربية الأولاد، أو تربيتهم بمنهجية متعددة الأطياف، متفاوتة المشارب، وهذا فيه من ضياع الأولاد ما فيه.

وربما ينتهي الشقاق بين الزوجين إلى الحرمان من الأولاد أصلاً، والخسارة حينئذ لا تقتصر على الزوجين، وإنما تتعدى إلى المجتمع والأمة؛ لأنها تكون سببًا في انقراضهما وزوالهما.

ب- على العمل الإسلامي:

وأما آثار تضييع كل من الزوجين للآخر على العمل الإسلامي فكثيرة، نذكر منها:

١- سريان الداء في جسم المجتمع والأمة:

إذ تضييع كل من الزوجين للآخر داء خطير، يسري إذا وقع في جسم المجتمع والأمة؛ كالسرطان إذا أصاب جزءًا من الجسم؛ فإنه يسري في بقيته، وحينئذ يكون الهلاك، والزوال.

٢- تفكك المجتمع وسيطرة الأعداء:

وحين يسري داء الشقاق بين الزوجين في ظل أنحاء المجتمع والأمة؛ فإنه يسود التفكك وينهار المجتمع لانشغال كل من الزوجين بهمومه عن تربية الأولاد والتربية المنشودة التي عليها حماية المجتمع وصيانته، وتكون النتيجة مجيء الأعداء وسيطرتهم على خير الأمة والمجتمع.

---

(١) الحديث: أخرجه ابن ماجه في السنن، المقدمة، باب في القدر ص ١٥ رقم ٩٠، وكتاب الفتن، باب العقوبات ص ٥٨٠ رقم ٤٠٢٢ من حديث علي بن محمد، عن وكيع عن سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان ﷺ مرفوعا بهذا اللفظ، غير أنه قال في الرواية الأخرى: «وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

٣- طول الطريق وكثرة التكاليف:

إذ حين تستيقظ الأمة، وتريد طرد الأعداء، وتحرير مقدساتها وثرواتها من سيطرتهم؛ فإنها تتحمل كثيراً من الجهد والمال فضلاً عن طول الطريق؛ لأن الأمر يتطلب نسيان الشقاق بين الزوجين والاشتغال بتربية الأولاد، حتى يتماسك المجتمع من جديد وينجح في أداء دوره في التحرر، والاستقلال.

الجانب الرابع: أسباب تضييع كل من الزوجين للآخر:

لتضييع كل من الزوجين للآخر أسباب تؤدي إليه، وبواعث توقع فيه نذكر منها:

١- إكراه كل واحد من الزوجين على الاقتران بالآخر:

إذ قد يكون اقتران كل من الزوجين بالآخر مبناه الاضطرار أو الإكراه، بأن يحمل الوالدان أو أحدهما الابن أو البنت على الاقتران بمن لا يحب، الأمر الذي يؤدي إلى تقصير كل من الزوجين في القيام بواجبه نحو الآخر، وحينئذ يكون التفرق والضياع.

٢- إهمال حق الكفاءة بين الزوجين:

وقد يكون إهمال حق الكفاءة بين الزوجين نسبًا، أو علمًا، أو مالاً أو وجاهةً أو جمالاً أو حرفةً، أو حرية، أو دينًا، أو نحو ذلك.

قد يكون هذا الإهمال طريقًا للنشوز بين الزوجين والفرقة على نحو ما كان بين زينب بنت جحش رضي الله عنها وبين زيد بن حارثة رضي الله عنه وانتهاء ذلك بالفرقة والطلاق.

٣- الاقتران بعيداً عن الدين:

ذلك أن الدين هو صمام الأمان في حياة البشر، وإذا غاب الدين من حياة البشر لاسيما الزوجين؛ فقل: على هذه الحياة السلام، والواقع البشري خير ما يشرح هذه الحقيقة ويجليها؛ إذ أكثر - بل كل- المشكلات الزوجية مردها غياب الدين من حياة هؤلاء.

٤- سيطرة الشح على النفوس:

ذلك أن الشح حين يسيطر على النفوس مالاً أو جهداً أو عشرة؛ فإنه ينتهي إلى بغض كل من الزوجين للآخر، حيث جُبِلت النفوس على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء لها، وحين يخيِّم البغض على الأسرة؛ يكون الشقاق والضياع.

٥- إطلاق العنان للبصر:

ذلك أن البصر بريد الزنا، وهو السهم المسموم الذي يغرسه إبليس في القلوب بُغية تدنيسها وإفسادها، وإذا لم ينتبه الناس - لاسيما الزوجان- إلى هذه الحقيقة، ويطلقان العنان للبصر ليمتلئ من كل ما لا يحل؛ فإن النتيجة هي تمرد كل من الزوجين على الآخر، وتبرمهما بالحياة الزوجية، وما فيها من الحلال الطيب بحيث يسود الشقاق والضياع، والعياذ بالله!

٦- إفشاء أسرار الزوجية:

ذلك أن من أسباب تماسك الأسرة؛ الحفاظ على أسرار الزوجية، وإذا غفل الزوجان أو أحدهما عن هذه الحقيقة، وعمل كلاهما أو أحدهما على إفشاء ونشر هذه الأسرار؛ فإن هذا يؤدي إلى تسرب الشقاق، وبالتالي الضياع؛ لكون هذا الإفشاء، أو النشر يسمح للفضوليين بالتدخل في حياة الزوجين، والعمل على الوقيعة والإفساد. وحينئذ تكون الفرقة والضَّياع.

٧- إهمال العناية بالمظهر:

ذلك أن عناية كل من الزوجين بمظهره تكون سببًا في التقارب والحب والمودة، وعندما يهمل الزوجان أو أحدهما العناية بهذا المظهر، فلا اهتمام بالفم والأنف، ولا أخذ من الشعور الداخلية، ولا استحمام على الدوام ولا ملبس حسن، وهكذا دواليك.

أجل: إن عدم العناية بهذا المظهر تؤدي حتمًا إلى البغض والكراهية، ومن ثم الشقاق والضياع.

٨- سوء الظن:

ذلك أن الأصل حمل المسلم على البراءة الأصلية، وحين تغيب هذه الحقيقة يكون سوء الظن، ويتبع ذلك التجسس وتتبع العورات، والغيبة، والنميمة، وإهدار الحرمات؛ الأمر الذي يؤدي إلى الشقاق، والفرقة، والضياع.

٩- شدة الغيرة:

ذلك أن الغيرة ضرورة لا مناص منها لحماية الحرمات، وينبغي ألا تتجاوز حد الاعتدال، فإن تجاوزت حد الاعتدال؛ كانت نكالاً ووبالاً على حياة الزوجين؛ لأنها تقود إلى الشك، والتجسس والغيبة، ونحوها مما لا تُحمد عُقباه، بحيث يكون الشقاق والضياع.

١٠- طمع كل من الزوجين في مال الآخر:

ذلك أن حب الدنيا والتكالب عليها، والتنافس في تحصيلها يقود إلى طمع كل من الزوجين في مال الآخر؛ فيتخذان المضايقة والتأفف طريقًا للابتزاز، وقد شهد الواقع أن استمرار المضايقة تجعل المرء يضحي بالدنيا وما فيها؛ رجاء الاطمئنان وهدوء البال والخاطر، وهكذا ينتهي طمع كل من الزوجين في مال الآخر إلى الشقاق، والفرقة، والضياع.

١١- الاستهانة بالمعاشرة:

ذلك أن المعاشرة طريق لاستمرار النوع الإنساني، وينبغي الاهتمام بها وإعطاؤها حقها من حيث كونها من أجلِّ النعم الإلهية على الإنسان، ولكن الذي يحدث أن كلا الزوجين أو أحدهما يستهين بهذه المعاشرة؛ فينظر إليها على أنها شيء بهيمي مستقذر ينبغي الترفع عنه، أو لا يعطيها حقها من الاستعداد والتهيئة التامة، أو يفرط فيها ويسرف إلى حد العزوف عنها، أو اعتلال الجسم، وذهاب الصحة والعافية، بحيث يكون الشقاق والفرقة والضياع.

١٢- انشغال كل من الطرفين عن الآخر بالدنيا أو بالواجبات الخارجية:

ذلك أنه لا يصح انشغال أي من الطرفين عن الآخر بأي شاغل ما؛ كي تتوطد وتقوى العلاقة بينهما، وإذا ما انشغل أي من الطرفين عن الآخر بنوع ما من الشواغل؛ دنيا أو واجبات خارجية؛ فإن العلاقة بينهما تتهاوى، وقد تنهار تمامًا، فيكون التضييع.

١٣- نسيان كل من الطرفين الطبيعة البشرية للطرف الآخر:

جبل الله الإنسان على أنه يصيب ويخطئ، وهذا لا يعيبه في شيء، وإنما الذي يعيبه أن يصر على الخطأ، وإذا ما نسي كل من الطرفين هذه الطبيعة البشرية للطرف الآخر؛ فإن الخلاف يدب بينهما، ويكون الشقاق والفرقة والضياع.

١٤- تقمُّص كل من الطرفين شخصيَة الآخر:

ذلك أن كلاً من الطرفين له شخصيته التي تميزه عن الآخرين، وعندما يعمل كل من الطرفين على تقمص شخصية الآخر؛ فإن الله يحرمهما عونه وتأييده، ويكون الشقاق والضياع.

١٥- انفراد كل من الطرفين بالمسئولية دون الآخر:

ذلك أن مسئولية كل من الطرفين في الحياة الزوجية إنما تقوم على المشاركة والتعاون، وحين ينفرد كل بالمسئولية دون الآخر؛ فإنه يكون التسلط والدكتاتورية، وربما الانقطاع، والفشل، والشقاق.

١٦- السماح للآخرين بالتدخل في الحياة الزوجية بلا موجب ولا مبرر:

ذلك أن الحياة الزوجية سر مصون لا يصح اقتحامه بين الآخرين بلا موجب ولا مبرر، وإن كان هؤلاء الآخرون من أقرب المقربين وحين يسمح لهؤلاء الآخرين بالتدخل دون مبرر أو اقتضاء؛ فإنه يكون النزاع، ومن ثم الفرقة والضياع.

١٧- الإصغاء للأفكار الوافدة الهدامة:

معلوم أن للمسلمين معالمهم التي ينتهون إليها، وثقافتهم الخاصة بهم، والنابعة من دينهم الحنيف؛ كـكون القوامة في يد الرجل، وكـون المرأة محبوسة على الرجل، فلا تبذل نفسها لغيره، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه وهلم جراً. وحين يكون الإصغاء للأفكار الوافدة التي تتعارض شكلاً ومضموناً مع معالمهم وثقافتهم في الأعم الأغلب، فإنه يدب الخلاف والشقاق بين الزوجين، وتكون الفرقة والضياع.

١٨- حرص كل من الطرفين على الانتصار لنفسه ولو بالباطل:

ذلك أن الخلاف بين بني البشر سنة بشرية لتفاوت العقول والبيئة والمعرفة، ونحو ذلك، والمطلوب تضييق هوة الخلاف على أساس الوصول إلى الحق والصواب، لا على أساس الانتصار للنفس.

وحين ينسى أحد الطرفين أو كلاهما هذه الحقيقة، ويكون الانتصار للنفس ولو بالباطل؛ فإن العلاقة تصاب بالانكماش وربما الانفصام والانقطاع.

١٩- مقارنة كل من الطرفين قرينه بالغير:

ذلك أن لكل من الطرفين دائرة خاصة به لا يصح تخطيها والخروج منها، وحين يعمل كل من الطرفين أو أحدهما على الخروج من هذه الدائرة إلى دائرة الغير، وتكون المقارنة؛ فإن الحياة الزوجية عادة ما تنتهي بالفشل والضياع.

٢٠- قلة الخبرة أو التجربة في تعامل كل من الطرفين الآخر:

لا شك أن الخبرة أو التجربة في تعامل كل من الطرفين للآخر لها دور كبير في نجاح الحياة الزوجية واستقرارها، وحين تقل هذه الخبرة، وتلك التجربة؛ فإن الحياة الزوجية يمكن أن يصيب بنيانها التصدع، وربما الانهيار.

٢١- إهمال كل من الطرفين التزود بزاد الطريق:

ذلك أن الطريق التي يسير فيها الطرفان طريق طويلة كلها عقبات، وأفضل الزاد الذي يعين على قطع هذه الطريق مع تخطي العقبات إنما هو التقوى؛ إذ يقول الحق سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧)

وحين يهمل كل من الطرفين أو أحدهما هذا الزاد؛ فإنه يكون الفتور وربما الانقطاع، والضياع.

٢٢- تقصير المجتمع في القيام بواجبه في الإصلاح بين الزوجين عندما يقتضي الأمر ذلك:

ذلك أن على المجتمع واجبًا ضخمًا في الإصلاح بين الزوجين حين يقتضي الأمر ذلك، وحين يقصِّر المجتمع في القيام بهذا الواجب؛ فإن الشقاق بين الزوجين يمكن أن يستفحل، وينتهي بالفرقة والضياع.

٢٣- تقصير ولي الأمر في القيام بواجبه في الإصلاح بين الزوجين حين يرفع إليه الأمر:

ذلك أن ولي الأمر له دور كبير في تحقيق الاستقرار في المجتمع لاسيما بين الزوجين، وحين يقصر في القيام بهذا الواجب بعد رفع الأمر إليه فإن الحياة الزوجية قد تتعرض للاهتزاز، وربما الانهيار والسقوط.

٢٤- جهل كل من الطرفين أو أحدهما بدوره ورسالته في الأرض ونصيب الزواج منها:

ذلك أن كل إنسان له دور ورسالة في هذه الأرض، وللزواج النصيب الأوفى من هذا الدور وتلك الرسالة، وحين يجهل كل من الطرفين أو أحدهما ذلك؛ يكون التصدع، وربما الانهيار والضياع.

٢٥- الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على انهيار علاقة كل من الطرفين بالآخر:

وأخيرًا، قد تكون الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على انهيار علاقة كل من الطرفين بالآخر على النحو الذي مضى عنه الحديث آنفًا قد تكون سببًا في الفرقة والضياع.

الجانب الخامس: السبيل لتقوية علاقة كل من الزوجين بالآخر:

ومادمنا قد عرفنا المقصود بتضييع كل من الزوجين للآخر، والمظاهر الدالة على ذلك، والعواقب والآثار، والأسباب والبواعث؛ فإن السبيل لتقوية علاقة كل من الزوجين بالآخر تتمثل في هذه الخطوات:

١- أن يعرِّف كل من الزوجين برسالته في الأرض، ونصيب الزواج منها:

ذلك أنه إذا عرف كل من الزوجين أن رسالته في الأرض هي العبودية لله - عز وجل- والمتمثلة في:

أ- عمارة الأرض بما لديه من طاقات وإمكانات وفق مبادئ الشرع الحنيف.

ب- دعوة القاعدين والكسالى أن ينهضوا للمشاركة في عمارة الأرض وفق مبادئ الشرع الحنيف.

جـ- الوقوف في وجه من يعملون على تقويض هذه العمارة وتحويل الأرض لبؤرة الشر والفساد.

وكذلك إذا عرف كل من الزوجين أن للزواج النصيب الأوفى في تحقيق هذه العبودية؛ فإنهما سيعملان على التكيف والانسجام فيما بينهما؛ كي يؤدي الزواج دوره ونصيبه الذي أراده له الشارع الحكيم حين دعا إليه، وأكد عليه؛ إذ في الحديث الشريف: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى»[1].

(١) الحديث: أورده البيهقي في السنن الكبرى، من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وقال عنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٦٦ رقم ٢٩٤١: «صحيح».

٢- أن يتم الاقتران بين الزوجين على أساس من الاقتناع والرضا:

أساس الاستقرار في الحياة الزوجية في الإسلام الاستمرار لا الانقطاع، وأهم ما يساعد على تحقيق ذلك: الاقتناع، والرضا، لا المصادرة، والإكراه.

وقد جاء في السنة ما يؤكد ذلك:

عن ابن عباس ﷺ «أن جارية بكراً أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيَّرها النبي ﷺ»(١).

وعن خنساء بنت خذام الأنصارية: «أن أباها زوَّجها، وهي ثيب، فكرهتْ ذلك، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فرد نكاحها»(٢).

وعليه؛ فإنه إذا أريد للحياة الزوجية الاستقرار والفاعلية؛ فإنه لا بد عند الاقتران بين الزوجين من الاقتناع والرضا، لا المصادرة والإكراه، ولا يتم الاقتناع والرضا إلا بإتاحة الفرصة لرؤية كل من الطرفين للآخر، وتبادل الحديث بينهما مع مراعاة الضوابط الشرعية اللازمة لذلك.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل»(٣).

قال: فخطبْتُ جارية، فكنتُ أتخبأ لها حتى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتُها»(٤).

---

(١) الحديث: أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب النكاح، باب من زوَّج ابنته وهي كارهة ص ٢٦٩ رقم ١٨٧٥ من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب إذا زوَّج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود ص ٩١٩ رقم ٥١٣٨، ٥١٣٩ من حديث عبد الرحمن ومجمِّع ابني يزيد بن جارية مرفوعًا بهذا اللفظ، وابن ماجة في السنن، كتاب النكاح، باب مَنْ زوج ابنته وهي كارهة ص ٢٦٨ رقم ١٨٧٣ بنفس الإسناد، ولكن بنحوه.

(٣) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها ص ٣٠١ رقم ٢٠٨٢ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٤) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها ص ٣٠١ رقم ٢٠٨٢ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ.

٣- أن تراعى الكفاءة بين الطرفين عند اقتران كل منهما بالآخر:

يُعَدُّ احترامُ كل من الزوجين للآخر من العوامل المهمة في استقرار الحياة الزوجية، ومما يساعد على تحقيق هذا الاحترام أن تراعى الكفاءة بين الزوجين، وليست هناك كفاءة أعظم من الدين على نحو ما علمنا رسول الله ﷺ، وإن كان لا بأس من مراعاة الجوانب الأخرى؛ إذ يروي أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ أبا هند حجم النبي ﷺ في اليافوخ، فقال النبي ﷺ: «يا بني بياضة، أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه»، وقال: «إن كان في شيء مما تداوون به خيرٌ فالحجامة»[(١)].

وزوَّج النبي ﷺ فاطمة بنت قيس بعد انتهاء عدتها من أسامة بن زيد[(٢)]، كما زوَّج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة[(٣)] وكان حامله في كل ذلك الدين، وأنه أساس الكفاءة.

حتى قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[(٤)].

وقال أيضًا: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقَه؛ فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد».

---

(١) الحديث: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٤٣ رقم ٨٤٩٤ ، ٢ / ٤٢٣ رقم ٩٤٦٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ، ولكن دون ذكر السبب، وأبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في الأكفاء ص ٣٠٣، ٣٠٤، رقم ٢١٠٢ بهذا الإسناد وبهذا اللفظ.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب ما جاء في نفقة المطلقة ٢/ ٥٨٠ رقم ٦٧، ومسلم في الصحيح، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها ص ٦٣٩ رقم ٣٦ كلاهما من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن فاطمة بنت قيس: أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتَّة، وهو غائب بالشام... الحديث.

(٣) حديثهما في سورة الأحزاب مشهور.

(٤) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ص ٩١٠ رقم ٥٠٩٠، ومسلم في الصحيح، كتاب النكاح، باب استحباب نكاح ذات الدين ص ٦٢٣- ٦٢٤ رقم ٣٦٣٥/ ١٤٦٦/ ٥٣ كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟

قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه؛ فأنكحوه، ثلاث مرات»[1].

٤- أن يحرص كل من الزوجين على التحلي بالجود والتضحية، والتحرر من البخل والشح:

إن متانة العلاقة بين الزوجين إنما تنشأ من عدة عوامل؛ أهمها: تحلي كل من الطرفين بالجود والتضحية، وتحررهما الكامل من البخل والشح؛ إذ بالجود والتضحية يَحمل كلٌّ من الطرفين الآخر، وتكون المودة والحب لما جبلت عليه النفوس من حب مَنْ أحسنَ إليها.

وعليه؛ فليحرص كلٌّ من الزوجين عند الاقتران أن يوطنا أنفسهما على الجود والتضحية مع التحرر التام من البخل والشح.

ورسول الله ﷺ خير أسوة وقدوة في هذا الباب؛ إذ كان حين يدخل بيته يكون في مهنة أهله، وكان نساؤه كذلك يضحين بكل شيء في سبيل راحته وإسعاده ﷺ.

٥- أن يوصَّى كل من الزوجين بغض البصر:

ذلك أن إطلاق العنان للبصر له أثر سيئ في تشتت ذهن كل من الزوجين، وربما تعلقهما بما لا يحل لهما، مع زهد كل منهما في الآخر، الأمر الذي يمكن

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي في السنن، كتاب النكاح، باب ما جاء في من ترضون دينه فزوِّجوه ص ٢٦١ رقم ١٠٨٥ من حديث أبي حاتم المزني مرفوعًا، وعقَّب عليه بقوله: هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة، ولا نعرف له عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، وأورده الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٦٦ - ٢٦٨ رقم ١٨٦٨، مقرًّا بتحسين الترمذي، قائلاً: (قلت: ولعل تحسين الترمذي المذكور إنما هو باعتبار شواهده الآتية، وخصوصًا حديث أبي هريرة، وإلا فإن هذا الإسناد لا يحتمل التحسين؛ لأن محمدًا وسعيدًا ابني عبيد مجهولان، والراوي عنهما ابن هرمز ضعيف كما في التقريب، وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه الألباني أخرجه الترمذي قبل حديث أبي حاتم المزني مباشرة رقم ١٠٨٤، وقد ذكره الألباني ضمن الدواوين التي أخرجت هذه الطريق، فكأن الترمذي حين حكم على حديث أبي حاتم بأنه حسن لم ينشأ من فراغ.

أن يؤدي إلى انهيار العلاقة الزوجية وضياعها، لذلك لزم التعويد على غض البصر، ويتأكد ذلك عند اقتران كل من الزوجين بالآخر.

يقول الحق سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣)

ويقول النبي ﷺ: «يا علي؛ لا تُتْبِع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة»(١).

وعن جرير بن عبد الله قال: «سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري»(٢).

٦- أن يحرص كل من الزوجين على حفظ أسرار الزوجية:

الزواج سر مكنون بين الرجل والمرأة، وحتى ينجح هذا الزواج ويبارك؛ فإنه لا بد من أن يحرص كل منهما على حياطته بالسرية التامة، وعدم نقل ما يتصل به، ولو إلى أقرب المقربين كالأبوين مثلاً إلا إذا وقع ما لا يمكن علاجه إلا باطلاع هؤلاء.

وأهم ما ينبغي ستره فيما بين الزوجين: قضية الإفضاء قطعًا للطريق على الفضوليين الذين يدسون أنوفهم في الحياة الزوجية ومحاولة الإفساد والهدم.

صلَّى النبي ﷺ ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، ثم أقبل على الرجال فقال: هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره، واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم قال: ثم يجلس بعد ذلك؛ فيقول: فعلت كذا، فعلت كذا؟ قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء، فقال: هل منكن من تحدث؟

---

(١) الحديث: أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظر الفجاءة ص ٦٢٧ رقم ٢٧٧٧ من حديث ابن بريدة عن أبيه رفعه، قال: يا علي . . . الحديث.

(٢) الحديث: أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظر الفجاءة ص ٦٢٧ رقم ٢٧٧٦ من حديث أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير مرفوعًا به.

فسكتن، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها، وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها؛ فقالت: يا رسول الله إنهم ليتحدثون، وإنهن ليتحدثنه فقال: هل تدرون ما مثل ذلك؟ فقال: إنما ذلك مثل شيطانة لقيتْ شيطانًا في السكة؛ فقضى منها حاجته، والناس ينظرون إليه... الحديث»[1].

٧- أن يوصَّى كل من الزوجين بالعناية بمظهره:

ذلك أن العناية بالمظهر لها دور كبير للغاية في إقبال كل من الزوجين على الآخر، وغرس المودة والمحبة بينهما، وقد دعا إليها الشرع الحنيف حين جعل النظافة من الإيمان، وحين جعل الأخذ من الشعور الداخلية ضمن سنن الفطرة، وحين دعا إلى الغسل، وتنظيف الثوب والبدن والمكان، وجعل الوضوء طريقًا للدخول في الصلاة، وجعل العناية بالفم والأنف من المهمات، وكذلك اهتم بما يدخل البطن، كل هذا للتأليف والمودة بين الناس، فكيف بالزوجة والزوج، وكلاهما من الجار الأقرب.

يقول النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان... الحديث»[2].

ويقول: «لا تُقْبَل صلاة بغير طهور... الحديث»[3].

ويقول: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق بالماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة،

---

(١) الحديث: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٤١ من حديث أبي هريرة مرفوعًا بنحو هذا اللفظ، وأبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله ص ٣١٤ رقم ٢١٧٤ من حديث أبي هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ص ١١٤، رقم ٢٢٣ / ١، والترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب في فضل الوضوء والحمدلة والتسبيح ص ٨٠٢، رقم ٣٥١٧ كلاهما من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ مرفوعًا به وبنحوه، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: (هذا حديث حسن صحيح).

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ص ١١٤ رقم ٢٤٤ / ٥٣٥ من حديث عبد الله بن عمر ﷺ مرفوعًا به.

وانتقاص الماء» يعني الاستنجاء بالماء، قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[1].

وحسبنا آية الوضوء والغسل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآية (المائدة: ٦)

وقد دعاء النبي ﷺ المرأة إلى حسن التبعل لزوجها فقال:

«إذا صَلَّت المرأةُ خمسها، وحصَّنتْ فرجَها، وأطاعتْ بعْلَها؛ دخلتْ من أي أبواب الجنة شاءتْ»[2].

والرجل بالمثل مدعوٌّ إلى ذلك انطلاقًا من قوله سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

أجل، إن حرص الزوجين على الاهتمام بالمظهر من العوامل التي تساعد على الحب والمودة، وسلامة الحياة الزوجية من التصدع والانهيار.

٨- أن يوطن كل واحد من القرينين نفسه على تحسين الظن بقرينه:

ذلك أن الأساس هو حمل حال المسلم على البراءة الأصلية، وتظل هذه البراءة هي قاعدة تعامل المسلم مع أخيه المسلم ما لم تكن هناك مجاهرة بالسوء والفحشاء، وانطلاقًا من ذلك؛ فإنه ينبغي على كل واحد من القرينين أن يوطن نفسه على تحسين الظن بقرينه طالما أنه لا مجاهرة بالمعصية، وهذا من شأنه تقوية العلاقة بين الزوجين، وحماية الأسرة من التصدع والانهيار.

وقد أرسى النبي ﷺ هذا الأساس حين كان يمتنع من طرْقِ أهله إلا بعد إعلانهم بقدومه.

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ص ١٢٥ رقم ٦٠٤ وأبو داود في السنن، كتاب الطهارة، باب السواك من الفطرة ص ١٩ رقم ٥٣ ، والترمذي في: السنن: كتاب الأدب، باب ما جاء في تقليم الأظفار ص ٦٢٤ رقم ٢٧٥٧ كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: (هذا حديث حسن).

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في الصحيح.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقًا»[1].

وعنه أيضًا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أطال أحدكم الغيبة؛ فلا يطرق أهله ليلاً»[2].

وجاء في بعض الروايات سبب هذا النهي وهو اتهامهم بالخيانة، أو الاطلاع منهم على ما لا تحمد عقباه، ثم إعطاؤهم الفرصة لحسن التبعل؛ إذ يقول جابر ﷺ:

«نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم»[3].

وعنه أيضًا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلتَ ليلاً فلا تدخلْ على أهلك حتى تستحدَّ المغيبة، وتمتشطَ الشعثة»[4].

يقول الحافظ ابن حجر:

«ويؤخذ منه كراهة مباشرة المرأة في الحالة التي تكون فيها غير متنظفة؛ لئلا يطلع منها على ما يكون سببًا لنفرته منها، وإما أن يجدها على حال غير مرضية، والشرع محرِّض على الستر»[5].

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب العمرة، باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة ص ٢٩٠ رقم ١٨٠١، وكتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم ص ٩٣٦ رقم ٥٢٤٣ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا به.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة... ص ٩٣٦ رقم ٥٢٤٤ من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا به.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الصيد والذبائح ص ٨٦٠ رقم ٤٩٦٩ من حديث جابر مرفوعًا به.

(٤) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب طلب الولد ص ٩٣٦ - ٩٣٧ رقم ٥٢٤٦ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا به.

(٥) انظر: فتح الباري ١١/ ١٢١.

ويقول أيضًا تعليقا على حديث كراهيته ﷺ إتيان الرجل أهله طروقًا:

«وفي الحديث: الحث على التواد والتحاب خصوصًا بين الزوجين؛ لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين، مع اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره، حتى إن كل واحد منهما لا يخفى عنه من عيوب الآخر شيء في الغالب، ومع ذلك فنهى عن الطروق؛ لئلا يطلع على ما تنفر نفسه عنه، فيكون مراعاة ذلك في غير الزوجين بطروق الأولى... وفيه التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم»[1].

٩- أن يحرص كل من الزوجين على الاعتدال في الغيرة:

غيرة كل من الزوجين على قرينه دليل الحب والمودة، ولكن الإغراق في هذه الغيرة قد يؤدي إلى التبرم أو الضيق، وربما البغض والفراق.

وقد نبه الشرع الحنيف إلى الغيرة المعتدلة، والغيرة التي فيها إغراق وتطرف؛ إذ يقول ﷺ: «من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يُبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة وأما التي يُبغضها الله فالغيرة في غير ريبة»[2].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

«كان في هذا البيت فتى منا حديث عهد بعرس؛ فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن يومًا، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة»، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غيره؛ فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل؛ فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح»[3].

---

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ١٢١- ١٢٢.

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الجهاد، باب في الخيلاء في الحرب ص ٣٨٤ رقم ٢٦٥٩ من حديث جابر بن عتيك مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب السلام، باب قتل الحيّات وغيرها ص ٩٩٣ رقم ٥٨٣٥/ ٢٢٣٦/ ١٣٩من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب؛ فوضع رداءه، وخلع نعله، فوضعها عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنْ قد رقدتُ فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويداً، فجعلتُ درعي في رأسي واختمرتُ وتقنعتُ إزاري، ثم انطلقت على أثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفتُ فأسرع فأسرعتُ، فهرول فهرولتُ، فأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالك يا عائش، حشيا رابية[1]؟ قلت: لا شيء، قال لتخبريني، أو ليخبرني الله اللطيف الخبير، قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني، ثم قال: أظننتِ أن يحيف الله عليكِ ورسولُه، قلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ نعم، قال: فإن جبريل أتاني حين رأيتِ؛ فناداني فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منكِ، ولم يكن يدخل عليك، وقد وضعت ثيابكِ، وظننت أن قد رقدت فكرهتُ أن أوقظك وخشيتُ أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[2] لهذا لزم أن يحرص كل من الزوجين على الاعتدال في الغيرة على النحو الذي ذكر آنفًا، حتى يقوى الحب بين الزوجين، وتدوم الحياة بينهما على النحو الذي يحبه الله ورسوله.

(١) أي: مالك منهجة متواترة النَّفَس؛ فإن ذلك لا يكون إلا لمن أسرع في مشيه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ص ٣٩١ - ٣٩٢ رقم ٢٢٥٦/ ١٠٣ من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا بهذا اللفظ.

١٠- أن يكون كل من الزوجين على درجة عالية من العفة بحيث لا يطمع في مال الآخر:

جبل الله الإنسان على حب التملك، وأوجب عليه أن يكون تملكه من الحلال الطيب؛ فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وانطلاقًا من ذلك فقد أعطى كلا من الزوجين حق التملك، وجعل له ذمة مالية خاصة، وحرم على كل منهما أن يطمع في مال الآخر، فيستولي عليه دون وجه حق.

فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٢).

وقال ﷺ لهند بن عتبة لما قالت له: إن أبا سفيان رجل مِسِّيك، وإني آخذ من ماله، قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»(٣).

---

(١) سورة البقرة: ١٦٨- ١٦٩ .

(٢) سورة النساء: ٢٠- ٢١ .

(٣) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في البيوع والإجارة... ص ٣٥٢ رقم ٢٢١١، وكتاب المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه ص ٣٩٦ رقم ٢٤٦٠، وكتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها ص ٦٤٢، رقم ٣٨٢٥، وكتاب النفقات، باب نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها ونفقة الولد ص ٩٥٧ رقم ٥٣٥٩، وباب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف ص ٩٥٨ رقم ٥٣٦٤، وباب - وعلى الوارث مثل ذلك - ص ٩٥٩ رقم ٥٣٧٠، وكتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ ص ١١٤٧ رقم ٦٦٤١، وكتاب الأحكام، باب من رأى للقاضي أن يحكم بعلمه في أمر الناس... ص ١٢٣٢ رقم ٧١٦١، وباب القضاء على الغائب ص ١٢٣٦ رقم ٧١٨٠، ومسلم في الصحيح، كتاب الأقضية، باب قضية هند ص ٧٦٠ رقم ٤٤٧٧ / ١٧١٤ كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا به، وبنحوه.

١١- أن يعطي كل من الزوجين مسألة المعاشرة أو المباشرة حقها المعروف:

ذلك أن المعاشرة أو المباشرة ضرورة لاستمرار النوع الإنساني، فضلاً عن الإشباع العفيف النظيف، وهي على هذا نعمة من أجلِّ النعم ينبغي شكرها، وشكرها إنما يكون بالنظر إليها على النحو المذكور، والاستعداد التام لها، والتهيئة، والتمكين من الاستمتاع بكل الكيفيات عدا الدبر، وأيام الحيضة.

عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها في قبلها جاء الولد أحول؛ فنزلت الآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم؛ فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا منكرًا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات؛ فلما قدم المهاجرون المدينة، تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنا نُؤتى على حرف؛ فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله - عز وجل -: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستقبلات يعني بذلك موضع الولد»[2].

وينبغي التقديم لذلك بالملامسة والقبلة، وكل أسباب الإثارة والتهيئة، قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

(١) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ ص٧٦٩ رقم ٤٥٢٨، ومسلم في الصحيح، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قُبُلِهَا من قُدَّامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر ص ٦٠٨ رقم ٣٥٣٥ / ١٤٣٥ كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح ص ٣١٢ رقم ٢١٦٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٣.

وعلى المرأة ألا تمنع نفسها من زوجها إلا لمانع شرعي، وهذا يشمل:

عدم صيامها تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه.

يقول النبي ﷺ : «لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه»(١).

إجابته ولو كانت تَطهي طعامها، أو كانت على سفر:

يقول النبي ﷺ :«إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته وإن كانت على التنُّور»(٢).

ويقول أيضًا: «إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه؛ فلتجب، وإن كانت على ظهر قتَب»(٣)، وعلى الرجل كذلك أن يسعى لتحصين امرأته، ولا يهمل ذلك تحت أي ذريعة من الذرائع.

فقد آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبذّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبوالدرداء، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه؛ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له؛ فقال النبي ﷺ : «صدق سلمان»(٤).

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعًا ص ٩٢٩ رقم ٥١٩٢، ومسلم في الصحيح، كتاب الزكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه ص ٤١٤ رقم ٢٣٧٠ / ١٠٢٦ كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير ،صحيح الجامع الصغير وزيادته ١ / ١٥٤ رقم ٣٥٤ - وعزاه إلى النسائي والترمذي من حديث طلق بن علي، وقال: (صحيح) وأقره الألباني.

(٣) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير ،صحيح الجامع الصغير وزيادته ١ / ١٥٤ رقم ٥٣٣- وعزاه إلى البزار من حديث زيد بن أرقم، وقال عنه: (صحيح) وأقره الألباني.

(٤) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ٣ / ٤٩ ، ٥٠، وكتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف ٨ / ٤٠، والترمذي في السنن، كتاب الزهد، باب منه ٤ / ٦٠٨ ، ٦٠٩ رقم ٢٤١٣ كلاهما من حديث أبي جحيفة، عن سلمان مرفوعًا به، وعقّب الترمذي على حديثه قائلاً: (هذا حديث صحيح).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أنكحني أبي امرأةً ذات حسب؛ فكان يتعهَّد كنَّتَه، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا، ولم يُفتش لنا كنفًا مذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «ألقني به» فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قال: كل يوم، فقال: «وكيف تختم؟» قال: كل ليلة، وفي رواية: قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله: ألم أُخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل؛ صم وأفطر، وقم ونَم؛ فإنَّ لجسدك عليك حقًا... وإن لزوجك عليك حقًا»[1].

١٢- أن يعي كل واحد من الزوجين الطبيعة البشرية للآخر:

ذلك أن الإنسان فيما عدا النبيين والمرسلين مجبول على الخطأ، وهو أيضًا مرهف الحس، رقيق المشاعر، وعلى كل واحد من الزوجين استيعاب ذلك؛ فيَعذر قرينه إذا أخطأ، ولا يأتي من السلوكيات ما يخرج به إحساس غيره ومشاعره.

جاء في الحديث قوله ﷺ: «كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون»[2].

وقال سبحانه مادحًا المتقين: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصوم، باب حق الجسد في الصوم، وباب حق الأهل في الصوم ٣ / ٥١ ، ٥٢، ومسلم في الصحيح، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقًا ٢ / ٨١٣ - ٨١٨ رقم ١٨٢، ١٨٣، ١٩٣، والنسائي في السنن، كتاب الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم ٤ / ٢١٠، ٢١١، وباب صوم عشرة أيام من الشهر ٤ / ٢١٥ كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ واللفظ للبخاري.

(٢) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير ،صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢ / ٨٣١ رقم ٤٥١٥ - وعزاه إلى أحمد في المسند والترمذي وابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرك من حديث أنس وقال عنه: (حسن) وأقره على ذلك الألباني.

إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٦)

١٣ - أن يتحرر كل من الزوجين عن جميع ما يشغله عن الآخر:

ذلك أن الحياة الزوجية لا تستقيم ولا تدوم إلا بأن يعطي كل واحد من الزوجين نفسه للآخر، ولا يتحقق ذلك إلا بتحرر كل منهما عن كل ما يشغله عن الآخر من دنيا أو أعباء خارجية، وإن كان ولا بد من الاشتغال بشيء من ذلك فلتكن الموازنة بين حق الأهل أو الزوج، وبين هذه، على حد قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «... فإن لجسدك عليك حقًا... وإن لزوجك عليك حقًا»[1].

وإقراره سلمان في وصيته لأبي الدرداء رضي الله عنهما:

«إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا؛ فأعط كل ذي حق حقه»[2]، وقد مضيا منذ قليل.

والموازنة أن يكون لكل من الزوجين نصيبه من الآخر، ولو بمقدار ساعتين يوميًا، والانقطاع لهما في يوم أسبوعي يعرف بيوم الأسرة.

١٤ - أن يحرص كل من الزوجين على عدم تقمص شخصية الآخر:

ذلك أن الله منح كل واحد من الزوجين مواهب وطاقات ليست في الآخر، وعلى كل أن يعمل على تنمية هذه المواهب، والطاقات ليكمل بها صاحبه، فيتكون المحضن الرئيسي الذي يمد المجتمع والأمة بحاجات من الموارد البشرية، وأعني بهذا المحضن الأسرة.

ولا يمكن تنمية ما لدى كل واحد من الطرفين بما من الله عليه من طاقات

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

ومواهب، إلا إذا حافظ على شخصيته، واستمر على ذلك حتى تنتهي الحياة، دون تقمص لشخصية الآخر.

ولعلنا بذلك نفهم سر قوله ﷺ : «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[1]، وقوله: «لعن الله المخنَّثين من الرجال، والمترجلات من النساء»[2].

وقوله: «لعن الله الرَّجُلَةَ مِنْ النساء»[3].

وقوله: «لعن الله الرجل يلبس لِبْسَةَ المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[4].

١٥- ألا ينفرد كل من الطرفين بالمسئولية دون الآخر:

ذلك أن نجاح الإنسان في تنفيذ المهام المنوطة به، وإنما يتحقق بمشاركة الآخرين له هذه المهام، وانطلاقًا من ذلك فإن الحياة الزوجية لا تثمر تحقيق المهام المنوطة بها إلا باشتراك كل من الطرفين في هذه المهام وتلك المسئولية، وقد لفت ربُّ العزة النظرَ إلى ذلك في قوله:

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَ وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة: ٢٣٣)

كما لفت النبي ﷺ النظر إلى ذلك في قوله:

---

(١) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير: (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٩٠٨ رقم ٥١٠٠) وعزاه إلى أحمد في المسند، وأبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم، وعزاه إلى ابن عباس ﷺ مرفوعًا، وقال: (صحيح) وأقره الألباني.

(٢) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير: (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٩٠٨ رقم ٥١٠٣) وعزاه إلى البخاري في الأدب المفرد، والترمذي في السنن من حديث ابن عباس ﷺ، وقال: (صحيح) وأقره الألباني.

(٣) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير: (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٩٠٧ رقم ٥٠٩٦) وعزاه إلى أبي داود من حديث عائشة ﷺ مرفوعًا، وقال: (صحيح) وأقره الألباني.

(٤) الحديث: أورده السيوطي في الجامع الصغير: (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ٩٠٧ رقم ٥٠٩٥) وعزاه إلى أبي داود في السنن والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وقال: (صحيح)، وأقره الألباني.

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

١٦- أن يحرص الزوجان على عدم تدخل الآخرين في حياتهما الزوجية بلا موجب، ولا مبرر:

ذلك أنه إذا وعى الزوجان أن تدخل الآخرين، ولو كانوا من أقرب المقربين في حياتهما الزوجية بلا موجب، ولا مبرر، يكون له أكبر الأثر في اتساع هوة الشقاق والنزاع بينهما، وربما هدم الحياة الزوجية، إذا وعى الزوجان ذلك؛ فإنه يتولد لديهما الحرص على صيانة حياتهما الزوجية من تدخل الآخرين، وإن كانوا من أقرب المقربين، إلا إذا كانت هناك مبررات وموجبات تقتضي ذلك، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء: ٣٥)

١٧ - أن لا يستمع الزوجان للأفكار الوافدة الهدامة:

ذلك أن هناك جهات تحمل في صدرها حقداً وكراهية للأسرة في الإسلام وبنيانها على أساس من تقوى الله ومبادئ شرعه الحنيف، وتعمل هذه الجهات على تصديع بنيان هذه الأسرة والقضاء عليها بتصدير ما لديها من أفكار مسمومة ومبادئ هدامة.

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ص ١٤٣ رقم ٨٩٣، وكتاب الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه ص ٣٨٧ رقم ٢٤٠٩، وكتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي ص ٤١٢ رقم ٢٥٥٤، وباب العبد راع في مال سيده ونسب النبي ﷺ المال إلى السيد ص ٤١٣ رقم ٢٥٥٨، وكتاب الوصايا، باب تأويل قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ص ٤٥٤ رقم ٢٧٥١، وكتاب النكاح، باب ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ص ٩٢٦ رقم ٥١٨٨، وباب المرأة راعية في بيت زوجها ص ٩٣٠ رقم ٥٢٠٠، وكتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ص ١٢٢٩ رقم ٧١٣٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بهذا اللفظ، وبنحوه.

وعلى الزوجين ألا يستمعا إلى هذه الأفكار، وتلك المبادئ صيانة للأسرة من التصدع والانهيار.

وقد لفت النبي ﷺ النظر إلى ذلك فيما روى أحمد من حديث عبد الله بن سابط، قال: دخلت على حفصة بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر، فقلت: إني لسائلك عن أمر، وأنا أستحي أن أسألك؛ قالت: فلا تستح يابن أخي، قال: عن إتيان النساء في أدبارهن؛ قالت: حدثتني أم سلمة أن الأنصار كانوا يحبون النساء، وكانت اليهود تقول: إنه من أحبى امرأته كان ولده أحول، فلما قدم المهاجرون المدينة نكحوا في نساء الأنصار، فأحبوهن، فأبت المرأة أن تطيع زوجها، وقالت لن تفعل ذلك حتى آتي رسول الله ﷺ، فدخلت على أم سلمة فذكرت لها ذلك، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله ﷺ، فلما جاء رسول الله ﷺ استحت الأنصارية أن تسأل رسول الله ﷺ؛ فخرجت فسألته أم سلمة، فقال: ادعي الأنصارية، فدعتها، فتلا عليها هذه الآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ صمامًا واحدًا[1].

إذ لم يسمح الحق - تبارك وتعالى- للأفكار الهدامة التي عند اليهود أن تقتحم على المسلمين حياتهم، وأن تغزو عقولهم، فتخرب عليهم بيوتهم وأسرهم.

١٨- أن يجاهد كل واحد من الزوجين نفسه على أن يكون انتصاره للحق والحق وحده:

ذلك أنه إذا أيقن كل واحد من الزوجين: أن الخلاف بين بني البشر سنة بشرية لتفاوت العقول، واختلاف البيئات، وتنوع المعرفة، وتباين الأدلة، وأن المطلوب تجاوز الخلاف، أو تضييق هوته على الأقل بغية بلوغ الصواب والحق، وإن خالف هوى النفس، إذا أيقن كل واحد من الزوجين بهاتين الحقيقتين؛ فإنه يجاهد نفسه على أن يكون الانتصار للحق، والحق وحده، وإن خالف هوى النفس، وبذلك تسلم الحياة الزوجية من أي اهتزاز أو تصدع.

---

(١) الحديث أورده ابن كثير في التفسير ١ / ٢٤٧ وعزاه إلى أحمد والترمذي.

١٩- أن يتحرر كل من الزوجين من مقارنة الطرف الآخر بالغير:

ذلك أن الحياة الزوجية إذا بنيت على أساس مقارنة كل واحد من الطرفين للآخر بالغير، فإن مآلها التصدع والانهيار، وعليه؛ فإذا أراد الزوجان استمرار الحياة الزوجية خالية من أي تشقق أو تصدع؛ فإن عليهما التحرر من هذه المقارنة؛ إذ الناس ليسوا سواء خَلقًا وخُلُقًا، وإذا كان الأمر كذلك فلا داعي للمقارنة، وليقل كل واحد من الزوجين إن قرينه هو قسمه من الله، وليوطن نفسه على الرضا بهذا القسم، عند ذلك تسلم الحياة الزوجية من أي تصدع أو انهيار.

٢٠- أن يعمل كل من الزوجين على اكتساب الخبرات والتجارب التي تفيده في تعامله مع قرينه:

وذلك أن الحياة الزوجية لا تنمو إلا بالخبرات والتجارب، وإذا حرص كل واحد من الزوجين على اكتساب الخبرات والتجارب تارة بالقراءة، وتارة بالسمع، وتارة بالمشاهدة، وتارة بالممارسة، وتارة بالسؤال. وحاولا استثمارها الاستثمار اللائق الصحيح؛ فإن ذلك يساعد - لا محالة- على تنمية الحياة الزوجية، وحفظها من أي تصدع أو انهيار.

٢١- أن يعمل كل واحد من الزوجين على التزود بزاد التقوى:

ذلك أن الحياة الزوجية عشرة إلى نهاية الحياة، وطريقها كلها عقبات ومعوقات، ولا سبيل لاستمرار هذه العشرة وسلامتها وسط العقبات والمعوقات إلا بالتزود بزاد التقوى، وذلك بترك كل ما يبغضه الله ولا يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والحرص على الإتيان بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فلا رياء، ولا إعجاب بالنفس، ولا غرور، ولا تكبر، ولا اتباع للهوى، ولا إسراف ولا تبذير، ولا شح ولا تقتير، ولا ظنون كاذبة، ولا عجلة في إصدار الأحكام، ولا غيبة ولا نميمة، ولا فوضى، ولا تشاؤم، ولا تنطع، ولا مراء ولا جدل، ولا غضب للنفس، ولا حقد ولا حسد، ولا تنافس على الدنيا،

ولا انهزام، ولا كبت، ولا قهر، ولا يأس ولا قنوط، ولا تعاطي للحرام، ولا لغو، ولا عزة بالإثم، ولا خذلان، ولا احتقار للآخرين، ولا تتبع للعورات، ولا شماتة، ولا غرر، ولا عقوق للوالدين، ولا قطيعة رحم، ولا تضييع للأولاد، لا شيء من ذلك كله، بل لا تفريط في عمل اليوم والليلة، وإنما هنالك المحافظة على الفرائض من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة، ومواظبة على النوافل من قيام الليل، وصلاة الضحى، وصوم التطوع، وكثرة الصدقات، والمتابعة بين الحج والعمرة، وتحمل الأذى، والعفو عند المقدرة، وصناعة المعروف، والحرص على أكل الحلال، ومحاسبة النفس، وتجديد التوبة، والمواظبة على الأذكار المطلقة والمقيدة، والإكثار من حضور مجالس العلم، ومطالعة الكتب النافعة، ودوام تلاوة القرآن، والنظر في السنة والسيرة النبوية، والاشتغال بواجب النصح والدعوة إلى الله، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستصحاب نية الجهاد في سبيل الله وهلم جرا، إن ذلك كله يكون سببًا في تقوية ملكة التقوى، وهي زاد دوام العشرة الزوجية، وتخطي ما يعترضها من عقبات ومعوقات.

٢٢- أن يستجيب المجتمع للقيام بواجبه في الإصلاح بين الزوجين عندما يقتضي الأمر ذلك:

ذلك أن هناك نوعًا من الشقاق بين الزوجين لا يمكن درؤه إلا بتدخل الآخرين، وقد نبه الشرع الحكيم إلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾ (النساء: ٣٥)، وعليه؛ فإن على المجتمع أن يستجيب لدعوة الزوجين للإصلاح، وأن يعمل على القيام بواجبه في ذلك مع تحري الصدق والإخلاص، والحكم بالقسطاس المستقيم كي يوفق المولى سبحانه ويتم الإصلاح، وإلا فلتكن قطيعة الطرف المعتدي كي تتعطل مصالحه، ويراجع نفسه، ويعمل على العودة إلى حكم الله، والنزول عليه، وإن خالف مراده، وهواه.

٢٣- أن يقوم ولي الأمر بواجبه في الإصلاح بين الزوجين حين يُرفَع إليه الأمر:

ذلك أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وتبعًا لذلك فإنه إن استعصى الإصلاح ورفع الأمر إلى السلطان فليحرص على القيام بواجبه في ردم هوة الخلاف، بما لديه من إمكانات ليست لدى غيره، فإن استعصى ردم هذه الهوة؛ فليقف إلى جوار الطرف الضعيف بعد التدقيق والتحري، وليستعن بالله، و﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

٢٤ - أن يكثر الزوجان من النظر في سير السلف في حياتهم الزوجية:

ذلك أن لدينا - نحن المسلمين- تجارب رائعة في كل ميدان، ومن بينها حسن العشرة بين الزوجين، فقد أُثِر عن أسماء بنت أبي بكر إعانتها بجهدها وعرقها لزوجها الزبير بن العوام في بيته، وأرضه، ودوابه، وصبرها على شدته وغيرته تبتغي الأجر من الله - تبارك وتعالى-.

هذا الإمام الشعبي عامر بن شراحيل علامة التابعين، وأمهر القضاة في عصره، يقول: عشت مع أهلي ما عشت فما رابني منهم شيء أبدًا. وهذا أحمد بن محمد المعروف بابن المظفر التركماني الأصل، القاهري الشافعي ت ٨٩٦ هـ يحكي عن أمه وأبيه التونسيين أنهما عاشا زوجين خمسين سنة لم يختلفا يومًا واحدًا[١].

وهذا الشيخ يحيى المزوري العمادي، الشافعي البغدادي ت ١٢٤٠هـ يعاون زوجته في غسل الثياب والطبخ وحوائج البيت، وكان يغسِّل أولاده إذا ماتوا بنفسه، ويقول لزوجه: «لا تضجري من موتهم، واشكري الله تعالى»[٢].

---

(١) انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢ / ١٠٧- ١٠٨، بتصرف.

(٢) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار ٣ / ١٥٨٧- ١٥٩١ بتصرف كثير.

إن الإكثار من النظر في سير هؤلاء السلف له أعظم الأثر في استقامة الحياة الزوجية وصلاحها.

٢٥- أن يشاهد الزوجان القدوات الحية للأسرة ذات الترابط والتماسك:

ذلك أن مشاهدة الزوجين القدوات الحية للأسر ذات الترابط والتماسك مما يعمل على تقريب الشقة بين الزوجين، ويحمل على مزيد من الصلاح والاستقامة، ولمّ شمل الأسرة.

فكم من أسر كاد الخلاف أو الشقاق أن يعصف بها لولا ما قيض الله لها من قدوات حية لأسر المجاهدين، الذين سُجنوا وعُذِّبوا واستشهدوا وهم يواجهون خطر الشيوعية، والعلمانية، والصليبية، واليهودية الصهيونية في المنطقة العربية، من أمثال أسر الشيخ حسن البنا، والمستشار حسن الهضيبي، وآل قطب، وآل الجوهري، وآل مشهور، وآل دياب، وآل الشيخ أحمد ياسين، وآل الرنتيسي، وغيرهم وغيرهم، أجل، إن مشاهدة ومعايشة هذه الأسر القدوات الحية له أعظم الأثر في القضاء على الشقاق بين الزوجين، ورأب الصدع، وإضفاء جو من حسن العشرة، ودوام الصلاح والاستقامة.

٢٦- أن يذكّر الزوجان على الدوام بالآثار والعواقب المترتبة على انهيار الأسرة:

ذلك أن المرء ينسى وأعظم علاج للنسيان إنما هو التذكير الدائم انطلاقًا من قوله سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)، وعليه فإن من عوامل تقوية علاقة كل من الزوجين بالآخر دوام التذكير بالعواقب والآثار المترتبة على انهيار الأسرة مع التنويع والتلوين في أساليب التذكير، حتى يبلغ التذكير مبلغه من النفس الإنسانية، ولعل هذا التذكير إذا كان مقرونًا بالصدق والإخلاص؛ يؤتي أكله طيبًا بإذن ربه، وما ذلك على الله بعزيز.

٢٧- أن يواظب الزوجان على الدعاء أن يصلح الله الأسرة، وأن يجنبها كل زلل:

ذلك أن الدعاء هو العبادة، سواء أكان دعاء مسألة وطلب أم دعاء ثناء على الله -تعالى- وقد علمنا ربنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

كما علمنا أيضًا أن نقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

أجل، إن الزوجين إذا واظبا على الدعاء بنوعيه، فإن الله يستجيب ويصلح من شأن هذا البيت، ويزرع الحب والثقة والمودة بين الزوجين، فتدوم العشرة إلى الممات.

***

الآفة السادسة والأربعون
«الغش»

الآفة السادسة والأربعون
«الغش»

والآفة السابعة والأربعون التي تفشت وشاعت بين الناس؛ فـأفقدتهم الثقة فيما بينهم، وفرَّقتهم أيدي سبأ، وأطمعت الأعداء فيهم، وجرَّأتهم عليهم إنما هي آفة: «الغش» بكل صـوره وأشكاله، وحتى يبـرأ منها من ابتلي بهـا، ولا يعود إليـها، وحتى يحذرها من عـافاه الله - عز وجل- منها فإنه لا بد من الـقيام بسلسلة من الأعمال، وأولها التعُرف على أبعاد ومعالم هذه الآفة من خلال هذه الجوانب:

الجانب الأول: تعريف الغش لغة، وشرعًا:

أ- لغة: يأتي الغش لغة على معان، نذكر منها:

١- الخلط والتلبيس؛ تقول: غش اللبن: خلطه ولبَّسـه بما يزيل صفاءه ونقاءه، يقـول ابـن منظور: «وهو - أي الغش- مـأخـوذ من الغـشش، وهـو المشـرب الكدر»[(١)]، ويقول الفيومي: «ولبن مـغشوش: مخلوط بالماء»[(٢)]، ويقول المناوي: «الغش: ما يخلط من الرديء بالجيد»[(٣)].

٢- التزيـين والتحسين؛ تقـول: غش الشيء: زينه وحـسنه، يقول الفـيومي: «والاسم: غِشٌّ - بالكسر- لم ينصحه، وزين له غير المصلحة»[(٤)].

٣- الغل والحقد؛ تقول: غش صدره: امـتلأ غلاً وحقداً[(٥)]، ولا تعارض بين

(١) انظر: لسان العرب ٦ / ٣٢٣ مادة: (غش).
(٢) انظر: المصباح المنير ص ١٧٠ مادة: (غش).
(٣) انظر: التوقيف ص ٢٥٢ مادة: (غش).
(٤) انظر: المصباح المنير ص ١٧٠ مادة: (غش).
(٥) انظر: التاج ٩ / ١٥٤ مادة: (غش).

هذه المعاني؛ إذ هو غـلٌ وحقد يظهـر في صورة خلط وتلبيـس مشوب بالتـمويه والتزيين.

ب- شرعًا:

جاءت تعاريف عدة عن نفر من العلماء للغش، نذكر منها:

١- تعريف ابن منظور: أن الغش هو نقيض النصح[١].

٢- تعريف الكفوي: أن الغش هو سواد القلب، وعبوس الوجه[٢].

والتعريف الأول معبر عن الحقيقة، ولكن بصـورة مبهمة ومجملة، أما التعريف الثـاني فإنه مـعبـر عن دافع الغش دون تصويـر لما يكشف عن هذا الدافع، ويدل عليه.

ويمكن التعبير عن التعريفين مـعًا بأن الغش شرعًا: غل أو حقد يؤدي إلى عدم صدق النصيحة مع إظهار خلاف ذلك.

الجانب الثاني: مظاهر الغش أو صوره وحكمه في نظر الشارع الحكيم:

وللغش مظاهر تدل عليه، وصور تعبر عنه، نذكر منها:

١- الغش العلمي والفكري:

المتمـثل في السـرقات العلمـية والفكرية، سـواء في الامتـحانات أو البـحوث العلمية، أو منح الدرجات العلمية، والألقاب ونحوها.

٢- الغش الوظيفي:

المتـمثل في إسناد الوظائف لغـير أهلهـا، أو عدم الجـدية في القيـام بالواجب الوظيفي، أو استخدام الوظيفة طريقًا لتحقيق منافع شخصية ونحوها.

---

(١) انظر: لسان العرب ٦ / ٣٢٣.

(٢) انظر: الكليات ص ٦٧٢.

٣- الغش السياسي:

المتمثل في تزوير إرادة الشعوب أو الوصول إلى سدة الحكم بالقوة، أو الكذب على الشعوب عن طريق الوعود البراقة التي لا أساس لها من الصحة، أو استغلال ثروات الأمة في تحقيق مآرب شخصية، أو بيع الشعوب وخيرها وثرواتها للأعداء بطريق مباشر أو غير مباشر، ونحوها.

٤- الغش التجاري والاقتصادي:

المتمثل في إخفاء عيوب السلعة، أو عدم أداء الأعمال بإتقان ودقة، أو عدم صدق النصيحة في الكسب والإنفاق والادخار، ونحوها.

٥- الغش الاجتماعي:

المتمثل في إخفاء عيب كل من الزوجين عن الآخر، أو عدم صدق النصيحة فيما يتصل بالأسرة أو الجوار، أو الأرحام، أو الأخوة ونحوها.

٦- الغش القانوني والقضائي:

المتمثل في وضع قوانين يضاهى بها شرع الله، أو لتقوم مقامه، أو لتحليل الحرام، أو لتحريم الحلال، أو الحكم بغير ما أنزل الله، ونحو ذلك.

٧- الغش الإعلامي والدعوي:

المتمثل في خلط السم بالدسم، الترفيه بالمحظور، عدم رعاية الأولويات، النيل من ذوي الأسوة والقدوة، تصويب السهام نحو الأصول والثوابت الإسلامية، ونحوها.

٨- الغش المعلوماتي:

المتمثل في تغيير المعلومات أو احتكارها دائمًا أو مؤقتًا، أو الحصول عليها أصلاً بطريق مشبوهة أو ملتوية، ونحوها.

٩- الغش التعليمي والتربوي:

المتمثل في تغيير المناهج بما يتعارض مع دين الأمة وثقافتها، أو إهمال الربط بين التعليم والتربية، أو عدم أهلية المعلم والمربي، ونحوها، إلى غير ذلك من المظاهر والصور الدالة على الغش.

أما حكم الغش بكل مظاهره وصوره عند الشارع الحكيم؛ فيتلخص في أنه كبيرة من الكبائر، وبالتالي فهو حرام؛ إذ جاء في الحديث أن النبي ﷺ مر على صُبرة طعام فأدخل يده فيها؛ فنالت أصابعه بللاً؛ فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني»(١).

وعن معقل بن يسار المزني رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته؛ إلا حرَّم الله عليه الجنة»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا، لا يبايعه إلا لدنيا؛ فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف»(٣).

وعن أسماء رضي الله عنها: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن لي ضرة فهل عليّ

(١) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «ومن غشنا فليس منا» ص ٥٧- ٥٨ رقم ٢٨٤/ ١٠٢، من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح ص ١٢٣٠ رقم ٧١٥٠، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ص ٧٢- ٧٣، رقم ٣٦٣/ ٢٢٧/ ١٤٢ كلاهما من حديث معقل بن يسار المزني مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطية... ص ٦٠ رقم ٢٩٧ / ١٧٣ / ١٠٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

جناح أن أتشبَّع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «المتشبِّع بما لم يُعط كلابس ثوبَيْ زورٍ»[1].

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرُّ إليك؟ قال فغضب وقال: ما كان النبي ﷺ يُسرُّ إليّ شيئًا يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع؛ قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غيَّر منار الأرض»[2].

وعن عدي بن عمير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فكَتَمَنَا مِخْيطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة» فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، اقبل عني عملك، قال: «وما لك؟» قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: «وأنا أقول الآن، من استعملناه منكم على عمل، فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهي عنه انتهى»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: توفي رجل من أهل الصفة فوجدوا في شملته دينارين؛ فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «كيتان»[4] قال الحافظ المنذري

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب المتشبِّع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة ص ٩٣٣ رقم ٥٢١٩، ومسلم في الصحيح، كتاب اللباس والزينة ص ٩٥١ رقم ٥٥٨٤/ ١٢٧/ ٢١٣٠ كلاهما من حديث أسماء رضي الله عنها مرفوع.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله... ص ٨٨٣ رقم ٥١٢/ ٤٤ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال ص ٨٢٤ رقم ٤٧٤٣ / ٣٠/ ١٨٣٣، ورقم ٤٧٤٤، ٤٧٤٥ من حديث عدي بن عميرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٤) الحديث: أخرجه أحمد في المسند ٦ / ١٧٠ رقم ٤٣٦٧، وعقَّب عليه الشيخ أحمد شاكر: (إسناده صحيح)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الزهد، باب في الإنفاق والإمساك ١٠/ ٢٤٠، وعزاه إلى أحمد، وأبي يعلى، والبزار قائلاً: (رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال صحيح) وسبقه المنذري فقال: (رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه).

معلقًا على هذا الحديث:

«إنما كان كذلك لأنه ادخر مع تلبسه بالفقر ظاهرًا، ومشاركته الفقراء فيما يأتيهم من الصدقة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمَه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[2].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير يلي أمور المسلمين، ثم لا يُجْهَد لهم، وينصح لهم؛ إلا لم يدخل معهم الجنة»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر فقال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس» وقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو قال: شهادة الزور»[4].

كما أن الآثار والعواقب المترتبة على الغش، سواءٌ أكان ذلك على المستوى الفردي، أو الجماعي لتؤكد حرمة هذا السلوك كما يكشف عنه الجانب التالي:

(١) انظر: المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، انتقاء القرضاوي، كتاب الصدقات، باب الترغيب في الإنفاق في وجوه الخير كرمًا، والترهيب في الإمساك، والادخار شحًا ١ / ٢٩٦ حديث رقم ٤٨٦,

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير ص ٣٦١- ٣٦٢ رقم ٢٢٧٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، ولكن بغير قوله: «ومن كنت خصمه خصمته»، وابن ماجه في السنن، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء ص ٣٥٠ رقم ٢٤٤٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ، وأحمد في المسند ١٦/ ٢٨٢ رقم ٨٦٧٧ من حديث أبي هريرة، وقد أورده الألباني في ضعيف الجامع قائلاً: (ضعيف من رواية ابن ماجه) وأحال تفصيل القول فيه إلى كتابه: إرواء الغليل رقم ١٤٨٩، وبين من مراجعة الإرواء أنه حكم على إسناد البخاري بأنه ضعيف، وأحسن أحواله أنه يحتمل التحسين، وأتصور أن هذا منه غريب.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النارَ ص ٧٣ رقم ٣٦٦ من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٤) الحديث: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ص ١٠٤٧ رقم ٥٩٧٧، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها ص ٥٣ رقم ٢٦١ كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

الجانب الثالث: الآثار والعواقب المترتبة على الغش:

لا شك أن للغش بكل أشكاله وصوره آثاراً مدمرة، وعواقب خطيرة على العاملين، وعلى العمل الإسلامي، وذلك على النحو التالي:

أ- على العاملين:

فمن آثار الغش على العاملين:

١- الكسب الحرام:

ذلك أن نهاية الغش الكسب الحرام، ولا شك أن الكسب الحرام يفسد أول ما يفسد القلب وبالتالي العقل، وإذا فسد قلب الغاش وعقله؛ فإنه ينطلق كالوحش الهايج ينال من كل ما يشبع نهمه، ويروي ظمأه من الشر والفساد، ويستمر هكذا حتى يفسُد الجسد كذلك، وتكون العاقبة النار وبئس القرار، حسبنا قوله ﷺ: «يا كعب بن عجرة، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به»[٧٦].

٢- القلق والاضطراب النفسي:

ذلك أن الغاش ينام ويقوم وهو قلق مضطرب من داخله خشية أن يكتشف الناس غشه وخيانته، وذلك أشد أنواع العقاب في الدنيا، حسبنا قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (الجن: ١٧)، وحسبنا أن هذا هو مفهوم قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٣- تعطيل المصالح:

ذلك أن اكتشاف المجتمع للغشاش يحملهم على سحب الثقة منه، وربما مقاطعته، وعدم التعامل معه؛ خوفًا من الاكتواء بناره أكثر وأكثر، وحينئذ تتوقف

---

(١) الحديث: سبق تخريجه في آفة أكل الحرام، المجلد الثالث ٥، ٦ / ١٧٠.

مصالحه، وتتعطل أعماله، ولعل ذلك هو ما يشير إليه قوله ﷺ : «من غش فليس مني»[1].

أي إن كان مستحلاً الغش فقد كفر، وحينئذ لا يصح التعامل معه؛ لأنه يؤذي الأمة، وإن كان غير مستحلٍّ فقد ارتكب من المعاصي والمخالفات ما يوجب بُعْدَ الناس عنه ومقاطعته؛ حماية لمصالحهم من خطره وآذاه.

٤- الحرمان من رحمة الله:

ذلك أن من ولع في الغش بكل أشكاله وصوره، فقد اكتسب ما يكون سببًا في حرمانه من رحمة الله وعفوه ومغفرته، وماذا بقي من رعاية وتأييد لهذا الغاش، وقد حرمه الله هذه الرعاية وذلك التأييد، وقد جاء هذا صريحًا في قوله ﷺ : «. . . ولعن الله من غير منار الأرض»[2].

وفي قوله ﷺ كذلك: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل. . . الحديث»[3].

٥- الحرمان من الجنة:

ذلك أن الغاش إذا لقي ربه ولم يتب من هذا الغش؛ تكون عاقبته الحرمان من الجنة، والخلود في النار، وقد نبه النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[4].

كما نبه إليه في قوله: «قال الله - تعالى-: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته. . . الحديث»[5].

---

(١) الحديث سبق تخريجه في حكم هذه الآفة.

(٢) الحديث سبق تخريجه عند الكلام عن حكم الغش ، وموقف الإسلام منه.

(٣) الحديث سبق تخريجه عند الكلام عن حكم الغش ، وموقف الإسلام منه.

(٤) الحديث سبق تخريجه عند الكلام عن حكم الغش ، وموقف الإسلام منه.

(٥) الحديث سبق تخريجه عند الكلام عن حكم الغش ، وموقف الإسلام منه.

وفي قوله: «ما من أمير يلي أمور المسلمين، ثم لا يُجْهَدُ لهم، وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة»[1].

ب- على العمل الإسلامي:

ومن آثار الغش على العمل الإسلامي:

١- الفرقة والتمزق:

ذلك أن الغش إذا ساد كل أرجاء المجتمع تنافرت القلوب، وبالتالي تفرقت الكلمة، وتمزقت الصفوف، وحينئذ يُفتح الباب أمام الأعداء للدخول إلى بلاد المسلمين، والعمل على تغيير فكرهم، وثقافتهم ليستمروا في نهب خير الأمة وثرواتها، وذلك فيه من الذل والهوان، والقهر والتأخر ما فيه.

٢- طول الطريق، وكثرة التكاليف:

وحين تحاول الأمة التخلص من سيطرة الأعداء؛ فإنها تتكلف كثيراً من الجهد، والفكر، والمال، فضلاً عن طول الطريق، الأمر الذي يحول دون الرُّقي والتقدم، وأخذ المكان اللائق تحت الشمس.

الجانب الرابع: أسباب الغش وبواعثه:

للغش أسباب تؤدي إليه، وبواعث توقع فيه، نذكر فيه:

١- حب الدنيا والتنافس عليها:

ذلك أن المرء إذا تمكن حب الدنيا من قلبه، ونافس الآخرين في طلبها فإنه يسلك كل سبيل لإشباع هذا التمكن والتنافس، ويرى الغش أحسن هذه السبل، لاسيما أن فيه نوعًا من التمويه والتورية، الذي يستتر وراءه ولو إلى حين.

٢- تلاشي مصادر الإلزام الخلقي البشرية من متابعة الغاش:

ذلك أن للإلزام الخلقي مصادر بشرية منها: القلب أو ما يسمى بالضمير، ثم

(١) الحديث سبق تخريجه عند الكلام عن حكم الغش ، وموقف الإسلام منه.

العقل، ثم المجتمع، ثم ولي الأمر، وإذا ما تلاشت هذه؛ فإن الجو يخلو للغاش، يفعل ما يحلو له، وما يشاء «خلا لك الجوُّ فبيضي واصْفِري»[1].

٣- نسيان الغاش أن الله عالم بكل ما يأتي وما يدع:

ذلك أن كمال الالتزام أن يجوِّد المرء عمله يقينًا منه أنه يرى ربه ويراه؛ فإن لم يوقن بذلك، ولم يصل إلى هذا المستوى؛ فإن الله يراه؛ لقوله ﷺ في حديث جبريل - وقد سئل عن ماهية الإحسان-: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2]، وعندما يغيب هذا المعنى من قلب الغاش فإنه يقدم عليه، وينغمس فيه غير مبال بعواقبه وآثاره.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩).

---

(١) أول من قال ذلك: طرفة بن العبد الشاعر، وذلك أنه كان مع عمه في سفر، وهو صبي، فنزلوا على ماء، فذهب طرفة بفخِّيخ له، فنصبه للقنابر، وبقي عامة يومه فلم يصد شيئًا، ثم حمل فخه، وعاد إلى عمه، وتحملوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب؛ فقال:

يا لك من قنبرة بمعمر ... خلالك الجوُّ فبيضي واصفري
ونقِّري ما شئتِ أن تُنقِّري ... قد رَحل الصَّياد عنك فابْشري
ورُفع الفخُّ فماذا تحذري ... لا بُدَّ من صَيدك يومًا فاصْبري

وحذف النون من قوله: (تحذري) لوفاق القافية أو لالتقاء الساكنين، قال أبو عبيد: يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الزبير حين خرج الحسين رضي الله عنه إلى العراق: خلالك الجو فبيضي واصفري.

وانظر: مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٣٩ - ٢٤٠ رقم ١٢٦٨.

تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٢) جزء حديث طويل يعرف بحديث جبريل، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة ص ١٢ رقم ٣٧، وكتاب التفسير: سورة لقمان، باب قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ص ٨٣٩ رقم ٤٧٧٧، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله، وباب الإسلام ما هو، وبيان خصاله ص ٢٥- ٢٦ رقم ٩٧-٩٩، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا به وبنحوه، وزاد مسلم رواية عن عمر بن الخطاب (ص ٢٤- ٢٥، رقم ٩٣- ٩٦ به وبنحوه.

٤- البيئة التي ينشأ فيها الغاش، وتحيط به:

ذلك أن الغاش قد ينشأ في بيئة شأنها الغش فيقتدي بها ويتأسى، وكذلك قد تحيط به طائفة شأنها الغش فتعينه وتقوي ظهره على الدخول في هذا المنعطف الخطير، والاستمرار فيه.

وقديمًا قيل:

وينشأُ ناشئُ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

وقال النبي ﷺ: «ومثل جليس السوء كنافخ الكير؛ إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تَشَمَّ منه ريحًا منتنة»[1].

٥- غفلة ذوي الحقوق والمصالح أو جبنهم عن حماية حقوقهم ومصالحهم:

وقد تكون غفلة ذوي الحقوق والمصالح أو جبنهم عن حماية حقوقهم ومصالحهم هي السبب أو الباعث الذي يحمل الغاش على ممارسة غشِّه والتمادي فيه، من باب: إنما يأكل الذئب من الغنم من لا راعي لها غيابًا أو غفلة أو جبنًا، وصدق طرفة:

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ... ...[2]

٦- ظن الغاش الغش مهارة ينبغي توظيفها في تحقيق مصالحه ومطامعه:

وقد يظن الغاشُّ الغشَّ مهارة ينبغي توظيفها في تحقيق مصالحه ومطامحه، ويستند إلى ذلك ويمضي في ممارسة غشه وتحقيق هوايته، غير مبال بالآخرين، الأمر الذي جعل النبي ﷺ يَسلكه ضمن أكبر الكبائر فيقول: وقد ذكر أكبر الكبائر: «الشرك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس»، ويعود: «ألا أنبئكم بأكبر

(١) الحديث سبق تخريجه في أكثر من آفة فيما مضى.

(٢) هذا جزء بيت للشاعر طرفة بن العبد ضمن معلقته المشهورة وتمامه:

..... ومتى لا يظلم الناس يظلم.

انظر: جامع مهمات المتون: المعلقة الثانية ص ٧٩٩ الطبعة: ١٣٦٩ هـ/ ١٩٤٩م، دار الفكر، بيروت.

الكبائر؟ قول الزور، أو قال: شهادة الزور»[1].

٧- إمهال الله للغاش وتأخير فضيحته:

وقد يكون إمهال الله للغاش وتأخير فضيحته عله يتوب، أو تلزمه الحجة سببًا وباعثًا يحمله على التمادي في هذا الغش ناسيًا أو متناسيًا أن الله يمهل ولا يهمل.

لقوله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[2].

٨- نسيان العواقب والآثار المترتبة على الغش:

ذلك أن للغش - كما أسلفنا- عواقب خطيرة وآثارًا مدمرة على العاملين وعلى العمل الإسلامي دنيوية وأخروية، وحين ينسى الغاش هذه العواقب، وتلك الآثار؛ فإنه يمضي في غشه مستخدمًا كل ما لديه من أساليب ووسائل حتى يقع في الشباك أو الشرك، ويندم آنذاك، ولا ينفع الندم.

الجانب الخامس: علاج الغش، والوقاية منه:

لعلاج الغش والوقاية منه أساليب كثيرة، ووسائل عدة، نذكر منها:

١- أن يغرس في نفس الغشَّاش من جديد التصور الصحيح عن النفس والحياة:

وذلك بأن يعلم إلى حد اليقين أنه خلق الله، وأن رسالته العبودية لله المتمثلة في عمارة الأرض وفق منهاج الله، ودعوة النائمين والكسالى أن يستيقظوا، وأن ينشطوا للإسهام في عمارة الأرض وملئها بالخير والبركة، والوقوف في وجه المفسدين الذين يصدون عن سبيل الله ويبتغونها عوجًا، كيلا تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد، وأن يُعلم كذلك أن كل النعم التي تغمره في نفسه، وفي الكون المحيط به؛ إنما هي إعانة من الله له على أداء دوره وواجبه في هذه الأرض، وأن الحياة مثل عملة ذات وجهين، أحدهما: الحياة الدنيا التي هي بمثابة مزرعة

(١) الحديث سبق تخريجه عند الكلام على حكم الغش.

(٢) الحديث سبق تخريجه في آفة الظلم، المجلد الثالث ٥، ٦ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .

يزرع فيها المرء ويغرس، والأخرى: هي الحياة الآخروية التي هي دار الحصاد، والحساب والجزاء، والتي لا تنتهي أبدًا، يستوي في ذلك الصالح والطالح والظالم، والمحسن والمسيء، وأن عليه أن يسعى في فعل ما يضمن له الحياة الطيبة في الدنيا، والفوز والنجاة غدًا إذا ما عاد إلى ربه بعد الموت، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، وأن الغش لا يتفق بحال مع هذا التصور، والأحسن أن يقلع عنه، وإلا فليتنظر العقاب الإلهي في الأولى والآخرة وما أشده وما أعظمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢)، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج: ١٢).

إن مثل هذا التصور لو غُرِس في نفسه الغاش، وغُذِّي على الدوام بما يقويه في النفس؛ فإنه سيسهم في تربية ملكة المراقبة لله، والإقلاع التام عن هذه الآفة الخطيرة، التي عانت البشرية وتعاني منها حتى يومنا هذا، والتي كانت سببًا في كثير من الدمار والخراب.

٢- أن تنقى البيئة التي يعيش فيها الغشَّاش:

ذلك أن سلوك الإنسان يتشكل غالبًا من البيئة التي يعيش فيها، فإن كانت صالحة استقام سلوكه وحسن، وإن كانت فاسدة؛ انحرف سلوكه وساء، وعليه؛ فإن علاج الغشاش وصيانته من التورط في هذا الخُلُق الذميم مرة أخرى يحتاج إلى جهود متضافرة لتنقية هذه البيئة التي نشأ وعاش فيها فيلفت نظر البيت والأسرة والعائلة والعشيرة أن يكونوا أسوة وقدوة لاسيما في ميدان الصدق والإخلاص، والبعد عن الغش والخداع، وتكون المتابعة الدائمة، والمحاسبة المستمرة من كل الناس الذين تتألف منهم هذه البيئة، بحيث لا يجد الغاش في البيت إلا ما يُثلج صدره، ويريح قلبه، وكذلك في محيط الأسرة والعائلة والعشيرة، كما يلفت نظر المجتمع إلى ضرورة التطهر من هذه الآفة، والتمسك بالصدق والإخلاص، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بإحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقرونة

بضوابطها وشروطها وآدابهـا، مع الحرص على إنشاء رابطة في كل شارع وفي كل حي يمكن تسميتها برابطة الصدق والصادقين، تكون مهمتها التركيز على ماهية الصدق، وأهميته في الحياة وثمرته وطرق اكتسابه وتنميته، وسبيل التعامل مع المشكلات التي تعترض طريق الصادقين، وتحويل هذه المعاني النظرية إلى تطبيق عملي من خلال عمل أنشطة وبرامج عدة، فإن ذلك كله من شأنه أن يغمر حياة الغشاش بالبديل الصحيح الذي يرضى عنه الله ورسوله، وتطيب به الحياة وتزكو.

٣- أن يستخدم الغشاش مع نفسه سياسة المحاسبة، والثواب والعقاب:

ذلك أن كل بني آدم خطاء، وما لم ينتبه المرء إلى خطئه سواء بنفسه أو بإرشاد غيره، فإن هذا الخطأ يعلوه ويحيط به من كل ناحية؛ بحيث يصعب تخطيه وتجاوزه إلا أن تداركه رحمة الله- عز وجل-، وأحسن سبيل لمعرفة الخطأ والسعي الحثيث للتخلص منه، إنما تكمن في المحاسبة أولاً بأول مع الجزاء المكافئ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وهكذا لو استخدم الغشاش مع نفسه سياسة المحاسبة المستمرة الواعية مع الثواب والعقاب إزاء كل تصرف تقوم به، أو مع كل طائفة من التصرفات وكان جاداً مع نفسه، صادقًا لا يريد لها إلا السعادة في الدنيا والآخرة؛ فإن الله سيعينه، ويأخذ في التخلص من هذه الآفة شيئًا فشيئًا حتى يطهر منها تمامًا، بل سيعمل على الوقاية منها، والحصانة ضدها، وصدق النبي الكريم ﷺ وهو يقول: «الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبَع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»[1].

٤- أن يتَّبع الغشاش مع نفسه سياسة التفتيش عن الأسباب التي أوقعته في الغش، ومعرفة العواقب والآثار التي ترتبت على ذلك:

ذلك أن علاج أي داء يصيب المرء إنما يبدأ بالتفتيش عن الأسباب التي أفرزت

(١) الحديث سبق تخريجه في أكثر من آفة فيما مضى.

هذا الداء والعواقب التي ترتبت عليه، ومتى وقف المرء على ذلك سهل عليه العلاج والوقاية، إن كان صادقًا في ذلك، وكذلك الغشاش لا بد له من البحث عن الأسباب التي أدت إلى هذا الغش، والآثار الضارة التي لحقت به وبغيره من خلق الله، وما يتبع ذلك من آثار أشد، وعواقب أكبر لو بقي سائرًا في غشه متماديًا فيه، إن مثل هذه الطريقة لو اتبعها الغشاش في علاجه نفسه؛ فإنها ستساعده في التخلص من دائه من أقصر طريق، وبأقل التكاليف.

٥- أن يظل أصحاب الحقوق والمصالح يحرسون حقوقهم ومصالحهم في جرأة وشجاعة، واحتساب لكل ما يصيبهم من أجل حماية هذه الحقوق وتلك المصالح:

ذلك أن الإنسان مجبول على البخل والشح، ولو كان الأمر بيده لقتَّر على خلق الله، ولحرمهم كل شيء حتى أبسط الحقوق؛ كما قال رب العزة سبحانه: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠).

وقد أوجب الشرع الحنيف على كل إنسان معرفة حقوقه وواجباته، والسعي الجاد لرعاية هذه الحقوق وتلك الواجبات حتى لو كلفه ذلك حياته.

إذ يقول النبي ﷺ: «من قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِل دون أرضه فهو شهيد، ومن قُتِل دون عرضه فهو شهيد، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد»[1].

وانطلاقًا من ذلك فإن على الأمة؛ حكَّامًا ومحكومين، صغارًا وكبارًا، ذكورًا وإناثًا، علماء وعامة أن يحرس بعضها بعضًا، وأن يحافظ كل منها على حقوقه، فلا يتركها كلأً مباحًا يرتع فيه الغشاشون، بل يدفع هؤلاء بكل سبيل لا تنتهي إلى عواقب أكبر وضرر أشد، ويحتسب كل ما يصيبه من تعب ومشقات وأذى في سبيل الله عز وجل. إن ذلك لو حدث سيصيب الغشاشين بشيء من التوقف

(١) الحديث أخرجه . . . .

والتفكير، والمراجعة قبل الإقدام على أي صورة من صور الغش؛ لأنه ليس من السهل أكل حقوق الغير، لاسيما في الأمة المسلمة التي صار الجهاد لحمايتها جزءاً من تصوراتها وبنيانها، وعندئذ تضيق مساحة الغش والغشاشين حتى تتلاشى من حياة الأمة تمامًا.

٦- أن يُنبَّه الغاش إلى أن في الناس من هو ذكي، بل أذكى منه:

ذلك أن في الناس من يتصور أنه وحده هو الذكي، وأنه يستطيع بهذا الذكاء تهويش الناس، والضحك عليهم دون أن يفطنوا إلى ذلك وأن يكتشفوه، وهو بذلك واهم أشد الوهم؛ إذ عطاء ربك ليس محظوراً على فرد بعينه، وإنما شائع بين الخلق أجمعين.

وما يراه المرء أنه وحده المخصوص والمعني به، تكشف له الأيام والليالي اشتراك غيره معه في هذه الخصوصية، وعليه؛ فإن على الغشَّاش أن يتعامل مع الناس على أن لديهم قدرات مثل قدراته، بل ربما تكون أعظم، ولا داعي أن يتذاكى على الناس، أو يهوشهم أو يضحك عليهم.

٧- ألا يغتر الغشاش بما يحققه من مكاسب ونجاحات:

ذلك أن الغشاش سيحقق لا محالة نجاحات ومكاسب، ولئن كان عاقلاً فعليه ألا يغتر بهذه المكاسب وتلك النجاحات؛ لأنه، والحال هذه بمثابة مقامر ربح مرة، وخسائر ألف مرة، فضلاً عن أن الله ليس بغافل عن هؤلاء وأمثالهم؛ إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: ٥)، ويقول: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: ٤٢)، ولا تدري سر التأخير، لكنه بالضرورة لحكمة يعلمها الله، وحوادث الدهر ووقائع التاريخ خير شاهد على صحة هذا الفهم.

وإلا؛ فأين الذين خدعوا أنفسهم وقومهم وشعوبهم؟! إنهم الآن تتبعهم اللعنات في الدنيا ويوم القيامة من المقبوحين؛ كما قال رب العزة سبحانه:

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (القصص: ٤٢).

٨- أن يتيقن الغشاش أن نجاحه في التخلص من آفة الغش والحصانة ضدها؛ إنما يتوقف على عوامل كثيرة على النحو الذي ذُكِر آنفًا، وأهمها: المبادرة بالتوبة النصوح مع الجدية والصدق والإخلاص والاتباع:

ذلك أن الآجال بيد الله، ولا يعلمها إلا هو، وربما يأتي الموت بغتة، والمرء يعيش في أحلام التسويف، أو قد يسبق الموت مقدمات سريعة من مرض ونحوه ثم يكون الموت، وحينئذ يندم ولا ينفع الندم، والأحسن أن يكون صاحيًا منتبهًا، بحيث إذا زلت قدمه وسقط في صورة من الغش التي قدمنا أو أكثر يراجع نفسه، ويبادر بالإنابة والرجوع إلى الله، ويلزم سبيل الجد مع الصدق والإخلاص والاتباع، ولا يسأم من تكرار هذه المحاولة؛ إذ باب التوبة مفتوح ما لم يُغْرغَر العبد، أو يقع الروح في الحلقوم، وليكن له من الماضين عبرة؛ إذ كم من أناس كانوا غارقين في الإثم من مفرق رءوسهم إلى خُمصان أقدامهم، ولكنهم في كل مرة لم ييأسوا من التوبة النصوح إلى أن أكرمهم الله في نهاية المطاف، وماتوا على التوحيد، وعفا الله عنهم، وتجاوز عن زلاتهم، ورضي أصحاب الحقوق عنهم حتى تنازلوا عن حقوقهم، وأخذوا بأيدي بعضهم البعض، وصعدوا في درجاتهم في جنات النعيم.

***

فهرست الموضوعات

الموضـــوع	الصفحـة
المقدمة	٣
الآفة السابعة والثلاثون	
الخذلان	٥
أولاً : تعريف الخذلان لغة واصطلاحًا	٧
ثانيًا : صور الخذلان وموقف الشارع الحكيم من هذا الخذلان	٨
ثالثًا : الآثار المترتبة على الخذلان :	١٠
أ- على العاملين	١٠
ب- على العمل الإسلامي	١٢
رابعًا : أسباب الخذلان وبواعثه	١٢
خامسًا : طرق علاج الخذلان، خذلان الغير بل الوقاية	١٢
الآفة الثامنة والثلاثون	
تتبع العورات	٢١
أولاً: تعريف تتبع العورات لغة وشرعًا	٢٣
ثانيًا: ماهية الألفاظ ذات الصلة	٢٤
ثالثًا: أهم صور تتبع العورات وموقف الإسلام من هذه الآفة	٢٥
رابعًا: آثار تتبع العورات :	٢٩
أ- على العاملين	٢٩
ب- على العمل الإسلامي	٣١
خامسًا: أسباب تتبع العورات	٣٢

الموضـــوع	الصفحـة
سادسًا: سبيل الخلاص من هذه الآفة بل الوقاية والاحتراز	٣٥
الآفة التاسعة والثلاثون	
الاحتقار	٤١
أولاً: ماهية الاحتقار لغة واصطلاحًا	٤٣
ثانيًا: سمات الاحتقار مع بيان موقف الإسلام منه والدليل	٤٤
ثالثًا: آثار الاحتقار وعواقبه:	٤٦
أ- على العاملين	٤٦
ب- على العمل الإسلامي	٤٩
رابعًا: الأسباب المؤدية للاحتقار	٥٠
خامسًا: علاج الاحتقار والوقاية من هذه الآفة	٥٢
الآفة الأربعون	
الشماتة	٥٩
أولاً: تعريف الشماتة لغة واصطلاحًا	٦١
ثانيًا: مظاهر الشماتة وحكمها ودليل هذا الحكم	٦٢
ثالثًا: آثار الشماتة وعواقبها:	٦٥
أ- على العاملين	٦٥
ب- على العمل الإسلامي	٦٧
رابعًا: أسباب الوقوع في الشماتة	٦٨
خامسًا: طرق علاج الشماتة والوقاية منها	٧٠
الآفة الحادية والأربعون	
الغدر	٧٧
أولاً: الغدر لغة واصطلاحًا	٧٩

الموضـــوع	الصفحـة
ثانيًا : صور الغدر: وحكمه مع أدلة هذا الحكم	٨٠
ثالثًا : آثار الغدر وعواقبه :	٨٤
أ- على العاملين	٨٤
ب- على العمل الإسلامي	٩٣
رابعًا : أسباب الوقوع في الغدر	٩٣
خامسًا : علاج الغدر والوقاية منه	٩٧
الآفة الثانية والأربعون	
عقوق الوالدين	١٠١
أولاً : معنى عقوق الوالدين لغة واصطلاحًا	١٠٣
ثانيًا : أهم مظاهر عقوق الوالدين مع بيان حكمه وأدلة هذا الحكم	١٠٤
ثالثًا : آثار عقوق الوالدين وعواقبه :	١٠٩
أ- على العاملين	١٠٩
ب- على العمل الإسلامي	١١٣
رابعًا : أسباب عقوق الوالدين وبواعثه	١١٤
خامسًا: علاج عقوق الوالدين والوقاية منه	١١٧
الآفة الثالثة والأربعون	
قطيعة الرحم	١٢٣
أولاً : تعريف قطيعة الرحم والمظاهر الدالة عليها	١٢٥
ثانيًا : مظاهر قطيعة الرحم	١٢٦
ثالثًا : آثار قطيعة الرحم :	١٢٦
أ- على العاملين	١٢٧
ب- على العمل الإسلامي	١٣٠

الموضـــوع	الصفحـة
رابعًا : أسباب قطيعة الرحم	١٣٢
خامسًا : علاج قطيعة الرحم والوقاية	١٣٥
الآفة الرابعة والأربعون	
تضييع الأولاد	١٣٩
أولاً : تعريف تضييع الأولاد والصور الدالة على هذا التضييع	١٤١
ثانيًا : حكم تضييع الأولاد وأدلة هذا الحكم	١٤٢
ثالثًا : آثار تضييع الأولاد وعواقبه :	١٤٣
أ- على العاملين	١٤٣
ب- على العمل الإسلامي	١٤٥
رابعًا : أسباب تضييع الأولاد	١٤٦
خامسًا : علاج تضييع الأولاد والوقاية	١٤٩
الآفة الخامسة والأربعون	
تضييع كل من الزوجين للآخر	١٥٥
أولاً : معنى تضييع كل من الزوجين للآخر، ومظاهر هذا التضييع	١٥٧
ثانيًا : موقف الإسلام من تضييع كل من الزوجين للآخر	١٥٧
ثالثًا : آثار تضييع كل من الزوجين للآخر وعواقبه :	١٥٩
أ- على العاملين	١٥٩
ب- على العمل الإسلامي	١٦١
رابعًا : أسباب تضييع كل من الزوجين للآخر	١٦٢
خامسًا : السبيل لتقوية علاقة كل من الزوجين للآخر	١٦٨
الآفة السادسة والأربعون	
الغش	١٩١

الموضـــوع	الصفحـة
أولاً : تعريف الغش لغة وشرعًا	١٩٣
ثانيًا : مظاهر الغش أو صوره، وحكمه في نظر الشارع الحكيم	١٩٤
ثالثًا : الآثار والعواقب المترتبة على الغش :	١٩٩
أ- على العاملين	١٩٩
ب- على العمل الإسلامي	٢٠١
رابعًا : أسباب الغش وبواعثه	٢٠١
خامسًا : علاج الغش، والوقاية منه	٢٠٤
الفهرس	٢١٠

***

الحرف لتجهيزات الطباعة - القاهرة - ٥٧٢٢١٥٨

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٢٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانئ الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

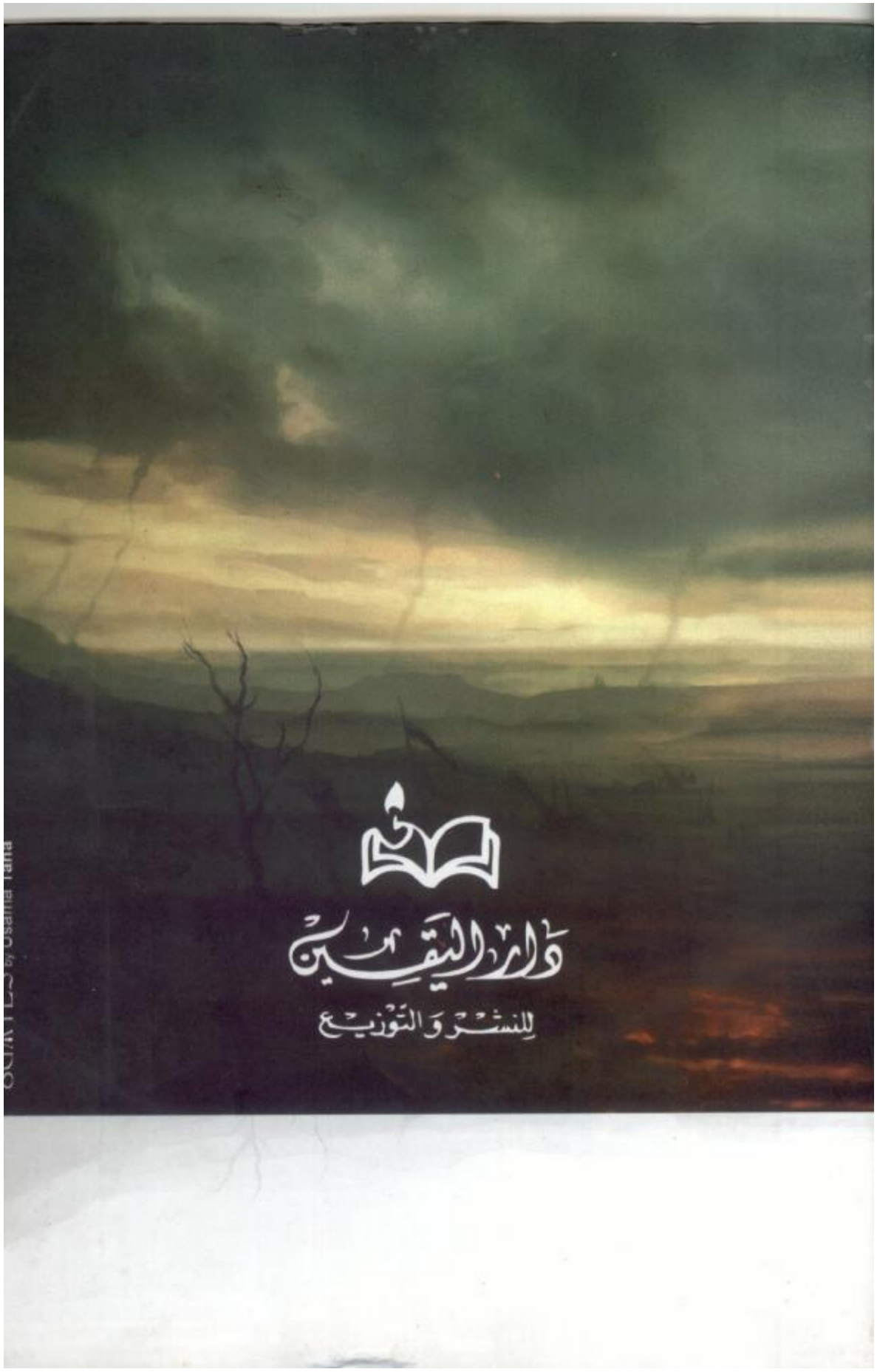
دار اليقين
للنشر والتوزيع